أُوجاعُ الياسمين

سلطان مي

نصوص نثرية

تأملات ...

obeikandl.com

دار الجندي للنشر والتوزيع

القدس

٠٠٩٧٢٢٣٤٠٠٣٥

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

سلطان مي

أوجاع الياسمين

الطبعة الأولى (٢٠١٣)

لوحات داخليّة:
للفنانة التشكيليّة ختام هيبي

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر والمؤلف.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

obeikandl.com

أوجاعُ الياسمين

سلطان مي

نصوص نثرية

تأمُلات ...

obeikandl.com

obeikandl.com

شكر

لكلّ من أوحى إليّ وأرشدني وساهم في إخراج هذه الأوجاع من كهف الجراح.

إلى الكاتب زياد خدّاش والكاتبة أنوار أيّوب سرحان، والفنّانة التّشكيليّة ختام هيبي، والمستشارة نجوى مسلّماني، وللجمعيّة العربيّة للمعاقين حركيًّا؛ أرفع شكري وتقديري.

سلطان مي

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء

إلى الفتاة التي استفزّت الكمالَ ليستنفرَ بقولهِ لها:
«أكمليني لِأكتمل»، وينسى أنّ الكمال للخالق وحده.
إليها تلكَ التي أخذتني إلى موتي حين أقنعتني أنّ
لرائحة الياسمين جسدًا.
إلى الفتاة التي شقّت حجابَ اللّيل بأظافرها وحلّقت
كالفراشة الملوّنة في أجواء الغرام والهيام لأكتب كتابي
هذا..
إلى حبّة الشّوكولاتة الّتي استباحت قوسَ شَفَتَيْها
وهزّت كياني لأجتاح كليّة أنوثتها النّاطقة..
إلى (م.ن) مَنْ تحمل في جسدها حرارةَ البراكين
الحَيّة وتندفُ مطرًا مضيئًا كلّما حرّكَ النّسيمُ شعرَها
الحريريّ.

إلى عائلتي وأصدقائي وأحبّائي
إلى الابنتين الحبيبتين
سالي وأسيل
إلى أوجاعنا العارية تحت المطر...

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

سُعداء كُنّا 15
أوجاعُ الياسمين..................20
عائِد من حالةِ حُب..........29
صاحبنا الغريب...............34
البقيّة الباقية من ثناياها الحريريّة 42
عودة الموتى...................48
كلّ ما في الأمر.................53
حبال مُفترسة..................56
زيارة ليليّة......................62
كعبٌ عالٍ......................66
البطل...........................68
الموت لجارتي....................78
اللوحة التي بكت 81
رحلة في حلقات دُخان.........84
قلوب بيضاء...................88
جنون...........................94
على باب القيامة..............100
في الانتظار 104
رُدّها إن استطعت 112
رُبّما كان وجودها. 116
سكاكر مالحة 120
صُدفة عازلة....................125
إلا أنهُ لم يستجب..............130

obeikandl.com

لينا الفلسطينية.................... 134
الدعوة مفتوحة والباب مُغلق......... 139
صراع عقيم......................... 145
لْي أو لغيري 151
قصّة قصيرة جدًّا 157
وهم............................... 160
السيرة الذاتية 165

obeikandl.com

المقدّمة

يكتب سلطان مي نصوصه غير عابئ بمن سيسأل عن جنس هذه النّصوص. يُلبّي سلطان نداء عطشه الفنّي العارم، المواري داخله بعفويّة ذكيّة مدروسة تستند على منجم من الخسارات الرّابحة، والأمل الباني والألم المفيد. يكتب كأنّه يمشي إلى بيته لكنّه يتأمّل النّوافذ ويفكر. يكتب كأنه خارج إلى عمله؛ فيتأمّل الشوارع ويستلّ منها حكايات الألم الصّافي والتّوق المجنون إلى نهاية هادئة لكلّ هذا الرّغبات المشحونة بالآخر المبتعد والمقترب بشكل ملتبس. في نصوص أوجاع الياسمين ثمّة شفافيّة من نوع نادر وخاصّ؛ فهي ليست الإنشاء والعاطفة الزّائدة، بل هي بياض الرّوح حين تواجه الطّريق المغلق، وصفاء القلب حين يرتطم بصخرة خسارة جديدة. الحبّ هنا ليس الثّيمة الأساس وإن كان يبدو كذلك، إنّه أحد تفرّعات أو تشظّيات أو انزياحات الثّيمة الكُبرى في النّصوص كلّها، وهي التّوق إلى الاكتمال، إلى الموت، إلى الدّمار.. إلى الخلاص، ينشد سلطان مي خلاصه النّهائيّ عبر نصوص حارقة ويائسة وحيويّة، تحتشد بالرّغبة في إيقاف ملفّ الحبّ في قلبه في ذات اللّحظة التي لا يقدر فيها على التّوقّف عن الغناء والحبّ والحياة. تبدو خسارات سلطان العاطفيّة والوطنيّة والوجوديّة، ذريعة رائعة لنصوص ثريّة بالتّأمل والمعرفة الوجوديّة، والأسئلة بعيدة الغور واستبطان ذواته الأخرى وحالاته العصيّة على الفهم. هو سؤال

الفنّ الكبير: من نحن دون خساراتنا؟ من نحن دون فقدان وحرائق؟!
قوة النّصوص وعمقها، تصوغ ذاتها من حرائق الحكايات الكاوية، ونقصان الرّغبة في إطفائها...

زياد خدّاش

كُلّما سَقَطتُ في حُفرةٍ فَرِحَتْ لأنّي مَلأتُ فراغَها.

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

obeikandl.com

سُعداءَ كُنّا...

أُواصلُ سيري نحو مواسم العشق، أمشي بكامل وعيي وبخطًى ثابتة على خيطٍ من اللآّلئ، أبحثُ لي في صندوق الآثام، عن شفاهٍ مُباركةٍ لأُقبّلَها كلّما نضجَت شمسُ الصّباح في سماء وجهي، أبحثُ عن آثار لمساتها على خدّي كلّما نبَتَ عشبُ اللّيل في الأفق، كلّما فَركتُ جسدي برائحة روحي المفتوحة على بعضها كموج البحر.

كسارقٍ يُحصي غنائمَهُ أعدُّ الأيامَ التي تمضي، أشتهي شموسَ صِباي وقلبيَ المنسيّ في صدور العاشقات، لكن دون جدوى، أراني أشهقُ كسمكةٍ هالكةٍ كلّما أخرجوها من البحر.

لعلّي أحملُ خطيئة الصّدق في قلبي، وغيري يحملُ صيغةَ التّعدديّة القلبيّة وأقصدُ هنا نفاقَ القلوب وكثرةَ الوجوه الزّائفة الزّائلة، ولا أرمي بحجري هنا في بئر أحدٍ ما، ولكنّه هاجسٌ يعتري تلك العتمة التي أسكنها في عزلتي، كأنّ أطياف الظّلّ في مُخيّلتي، أصبحت مثل عقربٍ أسود يلسعُ ماء روحي ويسمّم تأمّلَ الكواكب المعلّقة على سور ذهني. أذكرُ جملةً قالها جبران في أحد نصوصه الرائعة "ربّما عدم الاتّفاق أقصر مسافة بين فكرين"، لكن ليس في مثل حالتي يا رفيقي ورفيق حقيبتي أينما استوطَنتْ.

لأني أعلم جيّدًا أنّ الكذبَ لا يحملُ في جواربه أيّ تناقضٍ فمِنَ المستحيل أن تنزفَ ظلمةُ القلوب أفكارًا مضيئة، ولعلّي هنا أناقضُ ذاتي المثقَلَة التي تحاصرُ ذاتها في ممارسة الحزن والفرح، فهنا التّناقض موجودٌ، والكذب أيضًا..

كلُّ ما فاتَ من حياتِنا عصيٌّ على التّكرار، لأنَّ الشّياطينَ التي غادرت أوكارَها غير قادرةٍ على العودة؛ فهي كضحكات المارّة في شوارع قريتِنا. لا يمكننا أن نعيد أيَّ شخصٍ قابلناهُ في أحد الأزقّة حتّى وإن كان غير مجهول الهويّة، وأن نطلبَ منهُ أن يبتسمَ في وجوهنا مرّةً أخرى، أو أن نطلبَ منه أن يعيدَ دولابَ ضحكتهِ المجلجلة إلى الوراء، وإن فعلنا هذا ستكون الصّورةُ المطبوعة مشوّشةَ ومشوّهةً تمامًا كوجع التّمزّقِ في الذّاكرة أو كالتّراتيل اليوميّة المتوهِّجَة في عتمة حياتِنا المنشودة.

أقمعُ ذاكرتي، أمنعها من أن ترتكب جُرمًا أو أن تختلق لنفسها أعذارًا وهميّةً دون جدوى، وكعادتي يضيعُ مجهودي سُدًى، فكُلّما نَظرتُ حوليَ يسبقُني الكلامُ صارخًا: "سُعداءَ كُنا "، وإن كانت أوتار صوتي مخنوقةً كعادتها.

تَعبَتْ أجنحة الطُّيور –قالت أمّي وخبّأت حقيبةَ السفر خاصّتي– كانت تظُّنُ أنّها تمحو عن ملامحي استيطانَ الغيبِ وتعبَ التشرُّد..

قالت: هُنا أرسلتكَ إليّ عرباتُ الآلهة، هنا أنجبتُ حواسَّ دهشتك، على هذه الأرض أرضعتُكَ حليبَ الحُلم وعبءَ الجنون "يا ولد، لن تموت قبلَ موتي " فلكَ الأرضُ وأنت في أحشائي يا حفيدي كُن لأكون..

ولكنّي أفتقدُ ذاتي هُنا، كفلّاحٍ كان قد بذر في الغيم حبوبَ فرحهِ دون أن يلجم مهبَّ الريح بكفّه.. هنا أقذفُ الآه وكأنّي أقذفُ جمرةً من بركان حلقي. ربّما كلُّ هذا لأنّ حياتي تبدّلَت في غفلةٍ منّي..

***

على جبهاتِ الرّوابي القريبة ركضنا معًا حتى بلَّلَ العرقُ أجسادَنا، تدحرجنا على رؤوس أعشابها وأزهارها سويًّا دون خوفٍ.. دون كلل..

هناكَ كانت أحلامنا تَكبُر، هناكَ بَسَطَت الشّرانقُ أجنحتَها فحلّقنا كالفراش الملوّن أربعَ دقائق ومُتنا بعدها كانصهار الثّلج الثّمِل في وسط النهار، مُتنا بعد أن سقطت أجنحتنا في شرعيّة الشّوق الملتَهب..

أنا وهيَ –أجل معًا– صبغنا ألوانَ قوس قزح، هناكَ تبعثرنا وبعثرنا الصّمتَ حولنا.. على تلكَ التلّة أغمَضتُ عينيّ ولَعقتُ عطرَها المرشوشَ على بيادر صدرها.. على تلك التلّة رَسَمَتْ هيَ أحلامَنا على خَدّي بوَحلِها الأحمر، هناكَ أنجبنا همومَنا القادمةَ بالسّخط والرِّضا، على تلكَ التلّة أشعلنا جمرةَ الحُبّ بلقاءاتنا المحترقة.

***

كم أتوقُ لدروب تضاريسِها، وثرثراتها المتلاحقة المجلودة بسياط الغضب على مجتمعها، كم أشتاقُ لعناقها الطفوليّ ولصرخاتها المشرقة من حناجر العصافير، كم أشتاقُ إليها.. كم أشتاقُ إلى التلّة التي لا زالت شامخةً في مُخيّلتي.

يا حُبّي حَلِّق دائمًا على ارتفاعٍ منخفضٍ، كي لا ترتفعَ هامةُ شهوتي المتداخلة في أبجديّة الرّوح فأنا أعيشُ عالمي اللاّمرئيَّ على هذه الأرض..

obeikandl.com

obeikandl.com

باَهاتها
تَحسّست قشعريرة ظلّي
حتّى تبدّد الظّلّ
وتَمَرّدَ اللّوتس من رعشَةِ النّهر...

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

أوجاعُ الياسمين

في طريقي إلى هُناك إلى حيثُ تتغلّبُ في ذاتي قوّةُ الحنين على قوّة الليل.
أُلمِمُ أشعَّةَ شمسٍ حمراءَ، تَهاوت مِن نهد السّماء، أستمتعُ بِدِفئِها كما تستمتعُ رمالُ شاطئها بلا كلل.
تَتَسلّلُ الأفكار إلى رأسيَ المتعَب لِتَنهبَ طعمَ الحياةِ التي أعيشُها، ولكنَ واقعي يُدركُني كما تدركُني تلكَ السيّارةُ الفخمة المسرعةُ على شارع الشاطئ أصلُ إلى حيفا، إلى المكان الذي يخبّئُ في طيّاتهِ كلَّ الخطايا؛ لأنسى وسوسةَ القدر الخبيثةَ التي تنخرُ وتنهشُ في جسدي، وتهدِّدُ رغبتي الإنسانيّة التي تبَقَّتْ وحيدةً في دائرةِ التَّخمين..
أتركُ سيّارةَ صديقيَ القديمة التي أقلّتني إلى هلاكي بسرعةٍ جنونيّةٍ، وكأنّها هي ذاتُها التي تستنفر وتستعدُّ للقاءٍ حميمٍ في إحدى السّاحات الخلفيّةِ المظلمة، ولأنّني ببساطةٍ احتجتُ أن تُلامسَ ساقايَ حجرَ الزّاوية المنحوتَ على بلاطِ هذه الأرض، أمشي فتلاحقني فتاةٌ تزمجرُ بلغةٍ لا أفهمُها ولكنَّ أصابعَها تترجم لي تراتيلَ كلامِها وأسئلتِها.

ولا أخفيكم، كانت لابتسامتِها الخفيفة أيضًا غايةٌ لا يدرِك معناها إلّا رجلٌ محنّكٌ ومتمرّسٌ ذو تجربةٍ عارمةٍ بالمغامرات..
لأنّ ابتسامتَها كانت مدهونةً بالزيتِ وبالنّفاق فهي لا تستقِرُّ على حال...
أُخرِجُ علبةَ السّجائر من جيبي وأبتسم وكأنني صاحبُ حدائق الفاكهةِ

المشهورُ في إحدى بساتينِنا المغتَصبةَ.

أُخرجُ منها سيجارتين، سيجارة لها، وسيجارة لي، وهي تتربّصُ لتقطعَ الطّريقَ أمامي وكأنّها زوجتي الوهميّةُ التي تنتظرُني إذا سكن اللّيلُ لتخفّفَ عنّي عناءَ النّهار، وتمسح بأناملِها المعَطّرة عَرقي الذّائبَ على جبيني، وأطراف جسدي المنهمكِ من كثرة الابتلال وكأنّ الشتاء في إبّانه!
لكنّي أتحسّسُ قلبي تحتَ صدري، قلبيَ الذي لا يزال رغم قهرِهِ بكامل قوّتهِ الإنسانيّة..

أتركُها لأثبت لها أنّي ساذجٌ لا أتقنُ فنَّ الصيدِ في ظلمة الليل وأمشي وكأنَ تيّارَ الهواء يجري بي، يساعدُني ليقذفَني بعيدًا عن المجهول.
بعدها شَرَدت عيناي في اتّجاهاتٍ شتّى تتابعُ أفكارَ نفسها وصورٍ ربما ألِفَتها لتبحثَ عن لؤلُئِها في عتمة هذا البحر، كما الزّهرةُ التي أحملها في يميني تبحثُ هي الأُخرى عن عروةٍ سترتها لتزداد احمرارًا..

الوقتُ يدركُنا، والعطشُ ينهكُنا، تذبلُ هي لألقيَها جانبًا كي لا تراها عند قدومِها ساجدةً فوق تلّةٍ من الهواء...

أجلسُ أنا وقطّة تنوء من جوعها أو من فقدانها حنانًا ما على نفس المقعد المغلّفِ بالرّخام...

أنظرُ إلى عقاربِ ساعتي لترشدَني إلى الوقتِ الذي يحاربُني دائمًا بلا كَللٍ، السّاعةُ الثامنة الآن، أينَ هي؟ -أسأل نفسي-، بروقٌ باطنيّةٌ تستحوذُ ذهني.. أكادَ أُجنّ!

أقِفُ على قدميّ ليقفَ الوقتُ الرّاكضُ اللاهثُ إلى لا حيث، دون جدوى. توهّجت الشّمسُ كعودِ ثقابٍ يشتعل في يدِ طفلٍ صغي، لتطرحَ سلامَها الأخير قبل سُباتها، ويساعدها على الرّحيل ظلُّ بنايةٍ عالية.
أجلسُ هناك أُحدِقُ في عيون التائهين السّائرين خلف ظِلالهم، أقولُ في نفسي لعلّي أنا من تأخّر عنها!
في الانتظار يسرقني فستانٌ تركَ نفسَهُ للرّيح، كالرّوحِ الشّاردةِ التّائهةِ التي تبحثُ في الخلاء عن غزالتها.
أنظرُ إلى الغرب فلا أرى إلا بعضًا من بقايا الشّمس التي لا تزالُ تطلبُ طريقًا نحو البحر، ألتفتُ إلى الشّرقِ وكأنّني أغيّرُ طقوس صلاةٍ اعتاد أهلنا أن يمارسوها؛ فهم يؤدّون التحيةَ بعد كلِّ صلاةٍ بتحريكِ رؤوسهم إلى الشّرق ومن ثُمَّ إلى الغرب. حينها شعرتُ بنسمةٍ فاترة تُحرّكُ خصلاتِ شَعري ومشاعري لِتشرقَ شمسٌ أُخرى من جديد، الفتاة! أجل الفتاة التي أنتظرها هي عينها أتت فجأةً بِكامل عنفوانها وكأنها فارسٌ عارٍ يعتلي جوادَهُ ليعلنَ ابتداء معركتهِ الأخيرة على حرارة الطقس بقلّة الثياب التي يرتديها، لا سيوفَ هنا غيرُ أظافرها.
تَبتَسِمُ في وجهي من بعيدٍ ليتحوّلَ جسدي بيرقًا يستحوذُ بِسِحرهِ على ثورٍ هائجٍ في أعماقي..
تسوقني قدمايَ إليها كفرسٍ إلى سيفِ الموت .. أُعانِقها وأُقبّلُها لأقتلَ بياضَ حبّاتِ البردِ في ثغرها...
"وأخيرًا التقينا"، تقول هي، أما أنا فأتنهّدُ في وجه البحر ليكون المدُّ القادمَ أقوى لعلّي أموتُ غرقًا بين أحضانِها.

تتبسمُ تارةً أخرى، ولكن هذه المرةَ ليس لي، بل للقدر الذي يشاء بأن يذكّرَها بأنها كالعادة تنسى دائمًا طريقَ عودتها إلى البيت الكائن في شارعِ مسادا، ذلك الشارع الذي يحتوي في إحدى طيّاتهِ شقّتَها السّكنية وأناسًا غريبين

لا يحبّون حلاقةَ شُعورهم، بل يتركونهُ يتدلّى من فوق رؤوسهم وأكتافهم وكأنّهم أهلُ الكهف، أو أن مِسًّا قد أصابهم حتى غدا جنونهم وحشًا طائرًا يرفرفُ فوق هذا المكان الهادئ.

وعندَ سؤالي لها عنهم قالت إنّ الفقرَ يعلّمُ التواضعَ، وهؤلاء لا يعيشون إلا لمواكبةِ اللّحظة الرّاهنة وكأنّهم خُلقوا ليجلسوا على طاولات المقاهي اقتناعًا منهم أنّ الحلمَ القادمَ سيأتي مع الشّتاء الأخضر، وهم ببساطةٍ يجيدونَ الصّبرَ والانتظار.

أترُكهم وشأنَهم، أعتلي درجاتِ البيت بصحبتِها وأنا أردِّدُ قولَ صديقٍ شاعرٍ لطالما أحببتهُ يسكنُ في الجانب الآخر من الحياة ، هذا طبعًا إذا كانت خلف الجِدار حياةٌ..

أُرَدّدُ: «فوق الدرج، تحتَ الدرج، سِيّان إذا انقطعَ الهواءُ عن الدرج»!

نصلُ إلى بابِ شقّتِها بسلامٍ بلا جراح، تُحاولُ فتحَهُ ولكنهُ في ذلك الوقتِ مُستعصٍ مثل قلبي تمامًا.. قلبيَ الّذي لا يجيبُ الآن لنِداءِ الأُخرياتِ الجميلات.

أجتَهِدُ لفكّ هذا الرّمز حتى لا يفوتَ الوقت ويطيرَ الندى عن غُبار الدرج. لِيُفتحَ البابُ فجأةً على يدِ فتاةٍ لم أرَ برقّتها من قبلُ، فتاة غاية في الجمال والرّوعة. أنظر إليها وكأنني أحملِقُ في لوحةٍ فنيّة مُدهشة لرسّامٍ مبدع، أبدع

في رسمِها وكأنّها قمرٌ مُخبّأ في سماءٍ لا تنتهي، أحني قامتي وأهزُّ رأسي احترامًا لقبسِ نورها وذاك الخالِ المتربّعِ على صفحاتِ خدّها..
ندخلُ معًا إلى غرفتِها الغارقة في الفوضى، وكأنّ حربًا ضروسًا مرّت من هنا وتركت بصماتِها في ذلك الرّكن، فكلُّ شيءٍ مبعثرٌ كما أنا في غياهب داخلي، كلّي مبعثر!

نبدأ مباشرةً ترتيبَ المكان وخاصّةً سريرَها الذي أُزهقت روحُهُ من ثمرات المعاركِ، وحين انتهينا بدأت الفرحةُ تطارِدنا كفرحة اللّاّئذين إلى مخدع الحرية بعد الغيبة الطّويلة في قُبلةٍ لا تقطعُها إلا الحاجة إلى التنفّس.. كأنّي مسافرٌ والشّوقُ يُقلقُ قلبيَ الضّعيف!
أفترشُ وهجَ نورِها لأبحثَ عن راحتي في ملمسِها النّاعم، وراحتي لا تكونُ إلا في هدرِ سكونِ الليل الموحش...
ينجلي ذاكَ السّببُ الخَفيُّ الذي لم أحسّ دبيبَه في نفسي، هو ذاك الفرح الذي كان يفوحُ من بستان صدرِها...
كانت جالسةً على الأرض لأستجدي فهمها، ففي قلبها هالةٌ يُعمى عن ضوئِها البصَر.
أقتربُ إليها أرفعها وكأنّ سقفَ الغرفة مدىً مفتوح لا آخرَ له، أحملُها لِتتحسّرَ الأرضُ على فراقِ رائحتها...
أحملُها وكأنّي أحملُ أحلامي بينَ أصابعي اعترافًا بالخطيئة الصّامتة..
أمشي بها عدّة خطواتٍ لأُنزلَها على السّرير، كما ينزلُ رذاذُ المطرِ على حقلٍ من سنابلِ الوعي في غرفة مكتبتي...

أسافر بين شجيراتِ رموشها لأصلَ إلى عسلِ عينيها، وبعدها أتركها لتستنشقَ عطرَ عُذريتها من قارورةٍ رُسمت على غمّازةِ فَمِها...

وأرحلُ قائلا: تَعرَّي من حُزنكِ لأسمعَ عنادِلَ مسحورةً تُزقزقُ في الهواءِ الغافي..
فتتبعُني، تعانقُني، تقبّلني لِتزرعَ الوردَ على حِفافِ شفتيّ.
تبتسم فأبتَسم، أودّعُها بنظرة إعجابٍ صامتةٍ، كاملة غير منقوصة
لأعودَ أدراجي وكأنّ ما كانَ ليس غيرَ نسيجِ عنكبوت تَقَطَعَ عندَ أوّلِ لمسة.

obeikandl.com

obeikandl.com

القُبّرات النائمات لا يتنافَسنَ على غُصن
شَجَرةٍ نبَتَتْ في الهواء.

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

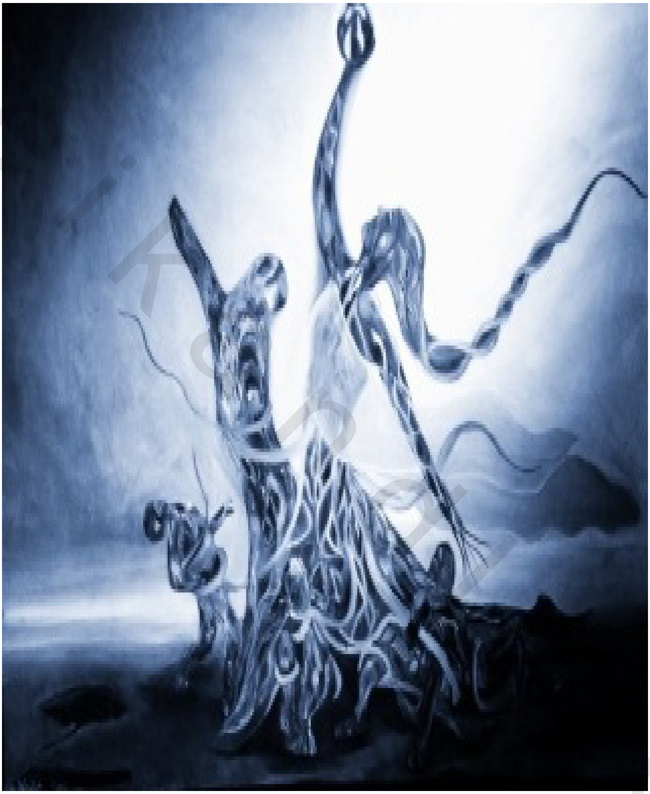

obeikandl.com

عائِدٌ من حالةِ حبّ

هيَ صحوةٌ في انعكاسِ الوجوه و الحركات قبلَ ميلادِ الفجرِ بقليل، كُلُّ شيء هادئٌ هنا، كُلٌّ في مكانهِ؛ البناياتُ، الأشجار، الشّوارعُ المتهالكة في اللّيل، أضواء السيّارات، لوحةُ الإعلان على باب الكفيتيريا.. كُلُّ شيء مرتّب...
أسيرُ في الشّارع وكأنّني في غرفة مكتبتي فهناك كلُّ شيءٍ في مكانه كما قُدِّرَ لهُ أن يكون.. كتبُ درويش، كتبُ جبران، المتنبي، نزار، أمل دنقل، الحمداني، طه حسين، توفيق الحكيم، الجاحظ، أحمد مطر...

أسيرُ على هذا الرّصيفِ المرصوفِ بأوراقِ الأشجار والوردِ الذّابلِ وكأنّني بطلٌ في إحدى الرّوايات عاشَ مُصادفةً ليكملَ صورةَ الإنسان في رواية العبث المطلَق..
هُنا وفي هذه اللحظات أغتصبُ صمتَ الليلِ بهدير أغنيةٍ لا يردّدُها إلا من عاشَ المعاناة، وتقمّصَ دور اللاجئ على خشبة المسرح، والمسرحُ حياة،
أقولُ في نفسي: كُلُّ شيء يشبهني!
حتّى الجمادُ المتحرّكُ، هذه السّيّارةُ، تلكَ الشّجرة الرّاقصة على سيمفونيّة زوربا اليّونانيّ بروْق باطنية تستعمرني.
أبتَسم دون أن تَرتَجِف أطرافي؛ فكيفَ يكونُ الاستعمار دون حواجز ودون جدار؟!

سيأتي النّهار.
أقفزُ قِفزةً خفيفةً إلى الرّصيف الآخر لأقترب أكثر من سماءٍ لا ضفافَ لها.
أصوِّبُ نظري عاليًا فلا أجدُ غيرَ صورتي على وجه القمر، عندها أعيشُ في عزلتي لأبحثَ عني في تفاصيلِ جسدي، في ملامحي وآخرِ كتاباتي..
هنا أو هناكَ في الأفق الآخر أغوصُ في أعماقِ ذلك الوجه المرسوم الذي يشبهني...
أقفُ لوهلةٍ، أغمضُ عينيّ على لذّةٍ عابرة تُدغدغُ احمرار وجهي فألقي التّحية على صورتي بخجلٍ وأكمل طريقي بحذر كي لا تدركَني هواجسي المتلاطمة.
أسيرُ على مهلٍ وكأنّني جحشُ ابن أتان مُحَمّل بألف سؤالٍ وسؤال..
لماذا وكيف؟!
يتضاجعونَ في ذهني لِينجبوا لي تاريخًا متوّجًا بالفكرِ اللّانهائيّ فلا أستطيعُ الفكاكَ من التشبّث بقمّة الهاوية الفراغيّة التي تقتلني بلا تردُّدٍ وبلا رحمة!
أنظرُ إلى السّماء تارةً أخرى، أزجُّ نفسي في حيرة الأسئلة المتلاطمة ولا أُخفي خوفي من الكسوف القادم، أو من بزوغِ الشمس في الصّباح الباكر...
ماذا سأفعلُ حينها؟ هل ستتشوّهُ صورتي لتضيعَ ملامح السّنابل المتوَهِّجة في عينيّ، أم سيسرَقُ المكان منّي في هدوء الظّلام؟
لا أجِدُ مكانًا لوجهي إلّا في مرآةٍ لا يَهمُّها جزيرة الرّوح المتقلّبة في هذا الزمن المتبلورِ.. ولأنَ الزّمن ليس زمني لن أعلنَ الحربَ على اللّيل ليبقى جالسًا متقرفصًا في خدمة هذا القمر الكامل بل سأكون عابرَ سبيل في فكرة النّصّ سأتركُ نفسي للقلمِ وللقدر وللخيال أيضًا وهذا أضعفُ الإيمان؛ فالخيالُ بالّنسبة لي هو الوحيدُ المتمكّن من صناعة الأمل حتّى مع اختفاء النّافذة المطلّة على البحر.

أمشي هناك إلى الرّكن القصيّ من الشّارع لأراقبَ ظلّي الذي يمازحُ بغبائهِ إطاراتِ السّيّارات المسرعة، ويشاكس أقدامَ البشر غيرَ مكترثٍ، كأنّما لا يخاف على نفسهِ من الدّهسِ والموت، ففي الموتِ منفًى وفي المنفى راحة.

أديرُ ظهريَ لليابسة كي أهدّدَ البحرَ الذي يحبُّه صديقي زياد بنظراتٍ ثاقبة، فيُذَكِّرُني بالأيّام الخوالي وانتصارِ قصصي في جميع الشّهوات المجنونةِ، لأتحوّلَ أمام أمواجهِ المقنِعَة التي ألحّت على غسلِ غضبي من أمورٍ قد تُذهِبُ العقل إلى مثواهُ الأخير في الدّنيا، إلى ولدٍ طائشٍ عاشقٍ حالمٍ في العشرين من العمر، لا هَمَّ لهُ غير إرضاءِ فتاةٍ أحبّها هنا فأهدتهُ صدفةً مثقوبةً ليعلّقَها قلادةٍ في سماءِ عنقهِ.

نعم، أمامَ هذا البحر الذي يتنهّدُ موجةً موجةً، تنتعِشُ ذاكرتي.

أطاردُ الماضيَ بكاملِ عنفواني، أبتسمُ لتلكَ اللّحظاتِ من رحلة اللّيل الطّويل، فما أجملَ أن تعيدَكَ ذاكرتُكَ المغتصَبةُ إلى تلكَ النّزواتِ المحَرَّرة...

أُصالحُ اللّيلَ مع إشراقاتٍ دافئةٍ وأشعّة شمسٍ تشقُّ حجابَ اللّيل بأظافرها، وعنادلَ تغرّدُ في أذني...

أسيرُ منشغلًا مُتلهفًا لشربِ قهوتي الصباحية مع فتاةٍ شاء القدر لها بأن ترافقَني في رحلتي الصّباحية ، فتاةٍ مُتَسَلِطَة تعشقُ كبرياءَها الفائضَ، ففي كل مرةٍ نلتقي تُحاولُ جاهدةً فرضَ سيطرتها وصقلَ شخصيةٍ خياليّة لا تلائمُ مبنى جسدِها النّحيل الجميل في عالم الواقع. والهواءُ كعادتهِ لا يرحمُ فستانَها، يحاورهُ غيرَ مكترثٍ لوجودي ليكشفَ غموضَ أسرارها المائيّةِ والعسكرية المغطّاة بسوسنةٍ حريريّةٍ خفيفةٍ كستارةٍ تحجبُ عني بساتينَ الجمال ...

جلسنا، فكانت هذه الإقامةُ الموقوتة بدايةً لإقامةٍ طويلة استغرقت العمرَ كلّهُ في ذهني حتى نسيتُ ونسيَ الذين عاصروا حضوري في حيفا في هذه المدينة

السّاحرة أني غريبٌ وافدٌ....

المكانُ هادئٌ يُشعركَ بالوحدة الثّنائية.. بما أنني لستُ وحيداً في هذا المقهى، كانت هناكَ أيضًا ترافقُنا وترافقُ صمتَنا موسيقى بدائيّة تنبعثُ من هدير البحرِ كلما شخلل النّسيمُ موجَ البحر المتنهّد...

نطلبُ قهوتَنا من النّادل فيحاصرُنا بابتسامةٍ لا أفهم مضمونَها إلّا عندما يروي لنا مغامرةً قام بها في بلادٍ لا تعرفُ غير الحُبّ، فنبتسمُ في وجههِ لنشعرَه بانتمائنا للمكان فيتركَنا ليتبعَ سائحةً من بلادٍ أجنبية دخلت المقهى فجأةً لتحاور الله في ملكوتهِ من شدةِ جمالها فيسترقُ النظر إليها ليستمتعَ مثلي بجمالِ سيقانها التي لا تشكلُ خطرًا إلا على قطراتِ عرقهِ الذائبة فوق الجبين..

ها هوَ النّهار بكامل شبابهِ يحملني على كتفيهِ وها هي الشّمسُ الوليدة على الأفق تحفظ الدّنيا برفقٍ وتدفئُها وتدفئني بحنان.

لا خوفَ من شروقِ الشمس بعد الآن..

أخيرًا ينصبُ الفرحُ خيمتهُ أمام باب وجهي ليقنعني أنّي تخلّصتُ من هذه العقدة التي أرهقتني طوال الليل.

أقول في نفسي: سأعودُ إلى هذا المكان في الصّباح الباكر لأداعبَ أصدافَ البحر المتناثرة على رمال الشّاطئ، وأشرب قهوتي على مهلٍ مع فتاةٍ أخرى ينتظرها الهواءُ في نفس المقهى ليحاورَ فستانها، وأستمعَ إلى قصّةٍ أخرى لذاك النّادل، سأعودُ لأراقب شروق الشمس ولأخرجَ ما تبقّى في جِرارِ الذّكريات سأعودُ لأعانِقَ جمالَها فوق زبدِ البحر...

عندها أكونُ قد بلغتُ منتصفَ المسافة، فالمسافة لا تكتملُ إلا بوجودها معي.

ما اقتفيتُ إثرَ أحَدٍ
غَسلتُ خدَّ السّماء
وارتفعت بسوسني
لأسقط من شرفة الوقت كماءٍ
على حافَّةِ الأرض
رضعت دماء الكلام
من نهدِ هذا البلد...

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

صاحبنا الغريب

اضطرابٌ في المكان يشُدُّنا كحجرٍ لِذاكرةِ الضّياع وكأنّ المكانَ بقعةُ خارجَ خارطة العالم.

كلُّ شيءٍ يتمايلُ كنسمة صيفٍ يحرّكُها الهواءُ الخارجُ من قَصَباتنا الهوائيّة فتَفضَحُنا أنفاسُنا الحارقة لأنّ المكانَ هنا كما قال أرسطو طاليس: " المكانُ الذي أبدعَتهُ الطّبيعة لإظهار الكمال الأقصى الإنسانيّ في مادّة "، أو على نحوٍ أدَقّ كانَ المكانُ مكشوفًا لا تسقفهُ غيرُ أسرابِ النّسور المبعثرة في كَبد السّماء...

كان يجلسُ صاحبُنا الغريب هناكَ وكأنّهُ متقرفصًا على ضفّةِ الأيام، يحتضرُ أمامَ ناظريّ، كنتُ أراهُ يبحثُ في مهاوي النّفس وفي ذاكرتِه القريبة البعيدة في آنٍ عن حبلٍ ليشدَّ طائرتَه الورقيّةَ الخياليّةَ لتحلّقَ بأحلامهِ بعيدًا عن سماء هذا المطعم، أو ليصنعَ من هذا الحبل أرجوحةً يهزّها لكي يؤولَ بِثقلِ حملهِ إلى زهرة برقوقٍ حمراءَ فوق الطاولة....

شعرَ صاحبُنا فجأةً بالخوفِ وكأنّهُ رأى شبحًا يقفزُ من بينِ طيّاتِ الماضي، أخذَ قلبهُ يخفقُ بشدّة داخل سور صدرِه، حينها شَبّهتُ أضلاعَ قفصهُ الصّدريّ بِسور الصّين العظيم الذي كان مشروعًا دفاعيًّا عسكريًّا قديمًا بارزًا

ونادرًا في التّاريخ المعماريّ البشريّ. وبدا صاحبنا مُشتَّتَ التّفكير مشغولًا بشيءٍ ما ولم يعد قادرًا على النُّطق بحرف.

نظرتُ إليه بدهشةٍ وتركتُ نفسي لقافلة الحَيرة والقلق التي يقودها، أصغي لأنفاسهِ لعلّي أخطفُ منهُ حدثًا أو فكرةً جديدة لقصةٍ أكتبُها ولا أعلمُ من أعطاني الحقَّ بالتصنُّت على الغير ومراقبةِ الناس!

ولا أخفيكم سرًّا في تلكَ اللّحظة حاصرتُ نفسي وتهتُ بين حقيقةِ المكان التي دعَتني لأتطايرَ مع أثير الكون وبين الأسطورة المنسيّة في روح الحلم..

رَفعتُ رأسي عن طبق الطّعام الذي لم أتناول منهُ إلا القليلَ وتركتُ الشّوكةَ من يساري لعلّها تذهبُ في حال سبيلِها، وأخرجتُ بحذرٍ قلمي الذي لا يفارقُني وبدأتُ أكتبُ كلَّ ما لم يستطع ذهني حملَهُ في تلكَ اللّحظة، أكتبُ بلا توقُّف، فشهيّتي المفتوحةِ للكتابة تسمحُ لي بالكثير الكثير...

لطالما كنتُ أحلمُ بكتابة روايةٍ تهزُّ مشاعرَ القرّاء وتحرّك القلوبَ الغافية، رواية مثيرة غنية بالأحداث والمجريات ومليئة بالأبطال تنقلُ قرّاءَها بخفّةٍ ليعيشوا في عالم آخر ...

كانَ صاحبنا الذي يجلسُ أمامي على الطاولة هو البطل بنظري، البطل الذي سيحملُ روايتي على أكتافهِ ويحلّقُ بها.. كان في مثل عمري أي في الثلاثين من العمر، شابٌّ بكامل عنفوانهِ وسيم الطّلة حسن المظهر وهادئ نسبيًّا، كان من أولئكَ الذين ينعشون حماسكَ الممطر للكتابة فهيئتهُ بصدق توقظُ حواسكَ النّائمة فتصبحُ عُرضَةً للإبداع ...

كان يرتدي ثيابًا أنيقةً جميلة وغالية الثّمن، قميصًا أزرق من الحرير على ما

أظنّ وسروالًا أسود، أمّا حذاؤهُ الجلديُّ فيبدو لي أنّهُ مصنوعٌ في مدينة فرنسي الإيطالية فلا شيء ممّا يلبسهُ من الصّناعة المحليّة...

كان يوحي إليكَ إذا دقّقت النظر بهِ، أنّهُ واحدٌ من تلك العائلات الأرستقراطيّة التي تقدّس الطّقوسَ، وتحترمُ مواعيدَ الطّعام، وتعطي أهميّةً بالغةً لربطاتِ العنق وللقبّعاتِ الفاخرة، ولرحلاتِ الاستجمام وشراء الثّياب والعطور الفخمة من أوروبا..

وبما أنّهُ يكرهُ الوحدةَ ولا يطيقها لم يكن وحيدًا هناكَ على تلكَ الطاولة المقابلة لطاولتي، كان «مُحاطًا» ولم أقُلْ كانت بجوارهِ فتاةٌ لأنّها ببساطةٍ كانت تنتشرُ في المكان كرائحةِ العطر الفرنسيّ الذي يجتاحُ كليّةَ أنوثتِها والمكانَ برمّتهِ ...

فلو نظرت في عينيها الواسعتَين الجميلتين الساحرتين اللتَين تتلألآن كلما ابتسمَت، ونظرَت هي أيضًا في عينيك ، تغيبان في عالمٍ آخرَ، و تحلّقان في أجواءِ الغرام و الهيام، ولو حالفكَ الحظُّ يومًا وأسمعتكَ شيئًا من جميل صوتِها وعذب لحنها ما يجعلك تذوب فيها حبًّا، عندها ستتمنّى الخلودَ حتّى لا تفقد تلك السّعادةَ الغامرة التي لم تشعر بمثلها طوالَ حياتِك..

كانَ لها وجهٌ من أجمل الوجوه وأرقّها، كانت تحملُ حرارةَ البراكينِ الحيّة وتندفُ مطرًا مضيئًا كلما حرّكَ النّسيمُ شعرَها الحريريّ...

وكم تمنّيتُ في تلكَ اللحظة أن أكونَ مكانَ صاحبنا أو أن أتحوّلَ إلى سمكةِ شوقٍ مُلوّنة لأسبحَ داخل عينيها، أمّا صاحِبُنا فكانَ يجلسُ غيرَ مُكترثٍ لها

ولكلِّ ما أمامَه، وكأن في حياتهِ أزمةً ما تجعلهُ يعاني ما يعانيه الآن...
كانَ يُدخن بشراهةٍ ويُشعل سيجارةَ الملبورو الحمراءَ ليملأ المطعم دخانًا أبيض وكأنّهُ يراهن الطبيعة على صنع سحابةٍ مشابِهَة لتلكَ التي في السماء،
ولكن سحابة صاحبنا تُضعِفُ الرّؤية وتكتم الأنفاس، بدا وكأنهُ يفضّل الموتَ بسرطان الرّئة على أن يموتَ بين أحضانِ فتاتهِ الجميلة!
ولا أريدُ أن أنسى كأس النبيذ الذي لا يفارقُ ثغرهُ أبدًا.
هَزِزتُ رأسي وقلتُ في نفسي: غير طبيعيّ، هذا الشّخص غير طبيعيّ!
صاحبنا هذا يشقُّ طريقهُ إلى الآخرة بسرعةٍ جنونيةّ وكأنه على ما أعتقد تمكّن من الحصول بواسطة علاقتهِ الواسعة على تذكرة خروجٍ من هذه الدنيا بسهولةٍ وبلا عناء.
توغّلتُ في النّظر إليهم، فعنادي وحبّ استطلاعي جعلاني ألحُّ على معرفة ما يدورُ على طاولتهم، وإصراري لم يرحمني أبدًا حتّى شعرتُ في قرارة نفسي أنّني الشّخصُ الثالث الجالس معهم على نفس الطّاولة...
ولعلّ تلكَ الفتاةَ المرافقة لصاحبنا والجالسة قُبالتي لاحظَت مدى اقترابي منهم ولكنّها لم تنطق ببنت شفة فبخبثِ الخبّيرة لاحظَت ما أسرقُ من نور نهديها، فانحنت قاصدةً وكأنّها نموذجٌ مُعدٌ لإغراء المثقّفين اليائسين أمثالي من تجاربهم السّابقة في الحبّ!

أرخت ستارَ نافذتها خصّيصًا لترويَ عطشَ رغبتي وربّما العكس هو الصّحيح فلعلّها فعلَت ذلكَ لتقتلني غيظًا، ببساطة قادتني كالأعمى –ترزياس– لأتبعَ منارةَ صدرها، ففعلتُ بلا تردد!

كان الوقتُ يجري وكانَ بإمكاني كأيّ كاتبٍ أو شاعرٍ أن أمنحَ للوقت وقتًا إضافيًّا كافيًا للوقت كي لا ينفذَ، وأن أقضيَ ليلتي بعيدًا عن انقضاء الوقت فكلّ شيءٍ حولي ممتعٌ بلا قيود:

الجوّ، المكان، الموسيقى، المائدة المليئة بالمشتهيات، نبيذي المفضّل وحبرُ قلمي الذي لا يجفّ وأيضًا تلكَ الفتاة التي تغازلُني وتُحرّك نظري من شفتيها إلى يدها ومن ثمَ إلى الدّخانِ المتصاعد من سيجارتها، متجاهلةً صاحبَنا الذي يجلسُ أمامها .

أما صاحبُنا، فيبدو أنّهُ يواجه حياتهُ بكلّ ما فيها من مشاكل، كان يحتسي الخمرَ بطريقةٍ وكأنّه يريد أن يطردَ متاعبَ الأيّام وشقاءَها...

كان يجلسُ على مقعدٍ خشبيّ مليءٍ بالعاطفة، لا يناسبُ ما ينهال على ذاكرتهِ من تاريخ الهواء المؤلم المشبَع بالرّطوبة والوجع، ولعلّ الوقتَ قد حان ليُغرقَها فيما يشرب حتى يعانق بسذاجتهِ بنيانًا شاهقًا أو جبلًا من غمام النّسيان.

عندها لم يعُد يحملني ضيقُ صدري فقمتُ فجأةً بحركةٍ فيها الكثيرُ من الرّفض والتحدّي، وكأن هاتفًا همس في أذنيّ جعلني أصرُّ على معرفة ما يجولُ في بال صاحبنا، وإلحاحًا يقودني لأسأل ذلكَ الرجل ما هي قصته؟ وما الذي يقضّ مضجعه ويشوّه حياته حتى غدا كجثةٍ هامدة بلا روح؟!

وقفتُ على قدميّ وإذ بيدٍ خفيّة تلامسُ كتفي لتعيدَني إلى مكاني، ولم تكن تلك اليد التي أحرقت كتفي من شدة حرارتها إلّا يَدَ النّادل الذي يحملُ فاتورة الحساب السّمينة، فهي وبلا مبالغة تشبهه تمامًا..

ولم يكن صاحبنا الجالسُ قُبالتي إلا صورتي الكاملةَ في المرآة،
وما كانت تلك الحالةُ التي ترتديني كمعطفٍ دافئٍ ولا تريدُ الانفكاك عني كقلة حيلتي وشعوري بالخوف والقلق، إلّا امتلاءَ محفظتي بالفراغ الكامل من الأوراق النّقديّة وعدم قدرتي على دفع فاتورة الحساب...

obeikandl.com

لِحَظِّيَ تَعبُ العاشقين
وأمسهُ الّذي لا يموت!
ولها كما لهُنَّ:
عبثٌ في سرير الغياب وفوضى
وتؤنّث الوجع خلف السّماء...

obeikandl.com

البقيّة الباقية من ثناياها الحريريّة

تَخَمّرَت رئتايَ برائحتِها حتى تَفتَّقت خيوطُها، جَمَعَتْ أبهى زهورها وتناثَرَت بظلالها المستفيضة لتُغرقَ عمقَ المكان..

قد أكون راضيًا بوضعي مُستسلمًا لقدري، لكنّي أجدني أخضع لرقرقة الدّموع في عينيّ، غيرَ مسيطر على خوفي المتلاعب في صدري وكأنّه ذيل كلبٍ يسبح في الهواء...

هل يرفرفُ ثانيةً عصفورُ النجاة في صدري؟!

تساءلتُ كثيرًا حتى تفجّرَت في إحدى اللّيالي أجراسُ حديقتها المفروشة بمُقدّساتها الرقيقة، وكأنّها مفروشةٌ بالوسائد السّوسنيّة المتربّعة بكلّ تلاوينها فوق سرير كوكبنا ودَندَنة أغنياتها المثقلة بدغدغة الوجود أغنيتها، «تراتيل الله المنزلة على صدور الأنبياء».

كُنتُ مُتلهفًا لسماعِ صوتها، لكن الحَظّ اتّجه إليّ بخطواتهِ السّريعة فأسمعني دبيكَ قلبها المسكون باللّهفة والفرح...

أمسكتُ بتلابيب فرصتي، اقتربتُ نحوها بعدما انفلجَت أسارير وجهي التي بدّدت ارتباكي، وبعكس كل الفتيات اللّاتي تمنيتُهنّ في أحلامي، تفتّحت كزهرة الأورغانزا أمامي حتى ملأت مساحة الحُلم العريض...

حَطَّت عينايَ على ورودها الأرجوانيّة المتَسَلّلة من حديقة فرحها بي..

كان اللّيل يتوهّجُ بسوادهِ، كان يضغطُ بسبّابتهِ العريضة على ثغر مصباحٍ

مُعلّقٍ يتدلّى من سقف سماءٍ بعيدةٍ قاحلة. وكأنّها مسكونةٌ بقمرٍ وحيدٍ خافت الضوءِ ومليون مليون لا شيء.

كان الليلُ كالواقع الثقيل الذي يتربّصُ بسمائنا، رأيتهُ فاتحًا شدقيهِ ليلتهمَنا بأنيابهِ كفهدٍ أسود، كقبرٍ جائعٍ فتحَ بابَهُ مُتأهّبًا لابتلاعِ غفوة فضائنا بكامل مجرّاتهِ..

استسلمتُ لغيومِها الممطرة، أشبعَتني ذاكرةُ الضّوءِ في أنشودة المطر وانتحاب تُرابيَ الجافّ لعزفِ رذاذ قطراتِها، ولا أدري كيف قطعتُ تلكَ المسافة إلى سمائها المتّسعة بلا حدود.

كانت اللوحة هنا أشبهَ بغطرسة النّدى فوق سرير القرنفلِ، أو كالفراشات الملوّنة، الباهرة التي اختالت بأجنحتِها الزّاهية فحلّقت فوق بساتين الشّفاه الملطّخة بالوحل الأحمر لتمتَصَّ نهدَ الشّوق الصّامت وحليبَه المتراكم داخل ورودهِ البيضاء..

عانقتُها بقوّةٍ، تحسّستُ مواسمَ أسرارها، قُلتُ في نفسي لعلّي أقطفُ من أطرافها المتنازعة رحلةً عبثيّة تليق بأحلامي المنتشرة، أحلامي كأيّامي تدنو بكامل خيوطها من فوّهة الهاوية. أهو التّشفّي من سجلّات الليالي القاحلة؟!

لا أعلم، لأنّ الرّفوفَ المليئة بالكُتب والرّوايات في مكتبتي خَيّبت آمال أحلامي!

أصبح السّهرُ زادي والكتابُ سريري، حتّى النومُ الذي أطال عُمري يومًا ما، ها هو يتّخذُ قرارَهُ ببسالة النّبلاء القدامى، يبتعدُ عنّي ويمنحني شهادةَ عتقي من سلاسل إحدى أمنياتي. حتّى النّعاس الذي اغتصبني بلذّةٍ في السّابق لم يغرس نبتةً في رحم ذاكرتي، لأتذكّرَ أنّ النّوم هو طريقنا الوحيدة للّقاء وطريقتنا

الوحيدة في البقاء.

أصبحتُ كالعنكبوت المجنون أنسجُ تَأمّلي واندهاشي بمزيجٍ من استفاقةِ رغباتي المرشوشة بالملح والنّدى.
خلف تلّة النّوم نبتت شامة العذراء ونضجَ آخرُ أحلامها، لكنّي ضللتُ الطّريق. كِدتُ أنسى كَسرَ الصّمتِ والملل.. لكنّي أنصح كلّ من قرأ هذا النّصّ بالنّوم ليكملَ ما بدأته أنا، أرجوكَ أيّها القارئ لا تكن عابرَ دربٍ مُتطفّلًا في الحلم. لعلّكَ تُكمل كتابة هذا النّصّ لترفعَ عني غيابًا قد أرهقَ مُخيّلتي وحدائق سريرها..

obeikandl.com

obeikan.com

obeikandl.com

مَرَّت على أطرافِ نيّتها
مُصطحبةً رسائلنا الحزينة
وكأنها كاهنة الشّر الملوَّن
أما أنا فاختبأتُ داخل قصبة مثقوبة
لتكون رياح تعاويذها
مصدرًا لصفير النّدم...

obeikandl.com

عودة الموتى

كانت قادرةً على أن تَهُزَّ منامي بِصمتٍ مُتوّجٍ بشيءٍ من الغيرةِ الحارقة والشّوق اللّاذع، فهي تُحاولُ محاربة الفراغ وكلّ الأشياء التي تحيطُ بسماءِ جسدي، تدافعُ عَمّا ليسَ لها مِن سرّيَ المقدّس، غاضبةً حتّى من صورة النّهرالذي يمتصُّني كعسلِ النّحل بلا انقطاعٍ في سيرةِ الحلم!

مَن هي هذه الفتاة التي تطاردُ الماضي بالحاضر؟!

والحاضرُ بالنّسبة لي بعد حضورِهِ يكون شيئًا ما قد مضى..

لعلّها سئمَت من تلكَ اللّعبةِ الخانقة في العالمِ الآخَر، اللّعبة التي تثيرُ الضّجرَ فعادَت لتلعبَ معي لعبة الحلم المرصّع بالأنوثة التّائهة والخارجة عن الواقع في عالم الرِّجال.

عالمنا متأهّبٌ للاندلاع في كلّ لحظةٍ كعودِ ثقابٍ يغزو نار جهنّم بكامل أدواتهِ بلا تردُّد، فنحنُ نغتالُ أنفسَنا لكثرة حاجتنا إلى عباءة الهدوء التي نتوق إليها بعد كلّ حرب..

فالحربُ بالنّسبة لأمثالنا ليست إطلاقَ رصاصة عمياء تستقرُّ بعد عنائها من رحلة الخوف في صدر الآخر، فتتصدّعُ منها مُدن القباب ويصبحُ الآخر عبارةً عن محوٍ لذاكرة المكان والزّمان أو جثّة بلا روح بعيدة كل البعد عن منبر الحياة الإنسانية، بل هي رقصةٌ كلاسيكيّةٌ فوق الدخان المتصاعد من اشتعال شموس الرّغبة في حلقاتِ إثارةٍ مُفرغةٍ.. عندها نحنُّ إلى زمنٍ كانَ حجمنا فيه وحدةَ

قياسٍ، فنحنُ ننكمشُ أيّتها الزّائرة لِنَسحَّ من بين الأصابع كأمطارٍ سخيّةٍ، فلا نستطيعُ حمل ذاتنا بعد انتهاءِ المعركة، فكيف لرذاذ المطر أن يعاود أدراجَهُ إلى أحضانِ أمّهِ الغيمة بعد السّقوط من حجرها ؟!
لعلّها هي!

لكنّها ماتت، أجل ماتت، فأنا ما زِلتُ أذكرُ ذلكَ التابوتَ المفتوح، أذكرُ ملامحَ وجهها المائل إلى الصّفار، أذكرُعيناها ورمل البحر المتسكّع فوق أرصفة النّسيان الثّقيل، أذكرُ حينَ خرجَت منهُ كالسّوسنة المختبئة في غابة الصّفصاف ليُدخلوها إلى عتمة قبرٍ مُغلَّفةٍ برائحة النّسيان ومبطّنة بهستيريا العُزلة..
عادت مع برهة السّكون في بيت الشّعر وغفوة الذّاكرة في سيمفونيّة القصيدة، عادَت في غير موعدها لِتُقلّمَ الشّجيراتِ الواقفات على سفح حاجبي الأيسر، ولتأنس ظلّي الرّاقدَ تحت جسدي في السّرير الكبير. وربّما عادت لتغرزَ خنجرًا صارخًا في صمت عاطفتي لاعتقادها بأنّها الوحيدةُ القادرة على أن تمسحَ من صفحات عمري البالية غبارَ السنين!
لا تخافي أيّتها الزّائرةُ العائدة، لن تلعقَ الذكريات بعد سواد شَعري، فما زلتُ في العقد الثّالث أحاورُ شدائدَ الأيّام على أجنحةِ الحمائم، فسمائي لا زالت ابتسامةٌ خفيفة وسريرًا، وكلماتي أوتارًا وزقزقة عصافير..
لعلّها أتت لِتحملني حَيًّا ومَيّتًا، كأغنية البحّار القديم في ليل تمّوز...
عادت بكامل حرّيتها اندفاعًا كالموجة الهائجة لتصلَ إلى أوجِ الرّغبة الصارخة في مضاجعة الرّمال...
والرّمالُ أمامها كرائحة الموشّح الغامض في اشتعال الشّمع الذي يذوب تمامًا أمام عاصفةِ الكَمان...

تمشي وتمشي كما يمشي القلم في يدِ كاتبٍ مبدعٍ مفتوح النهايات، وكأنّ البحر أمامهُ ورقٌ ولوح...

ها هي أمامي في حلمي، في يقظتي كالنّدى، تنموعلى ضفافِ سريري، مقيّدةٌ كأسيرة حربٍ تسللَت إلى الفراشِ لتتركَ ندبةً في نزوة الصّمت المتحرّر ...

محملةً بالذّكرياتِ عادت ويا ليتها لم تعُد!

عادت لتخدشَ ضعف الهواءِ في روحي وتثاؤبَ الأغنية النّاعسة في انشغال الفراش حول المصابيح، وللمصابيحِ حياةٌ وللفراش موتٌ على باب القيامة.

ربّما أخطأت الطريقَ! لعلّي لستُ عنوانَها، ولعلّها تائهةٌ في أسطورة عشقٍ أحرقَت نفسَها نكايةً بنوافيرِ روما لتعقدَ معاهدةَ صلحٍ مع نيرون، أمّا أنا فقد عجزتُ حتّى عن نقلِ نفسي من مكانٍ إلى مكان!

أخذتُ أسألُ نفسي عن سبب عودتها، أحكّ رأسي، أنتفض وكأنّني قطارٌ بخاريٌّ قديم كلُّ ما في وسعه هو تحريك نفسهِ ليزيل عن عجلاته الصّدأ...

تقتلني تلكَ الأسئلةُ المعجونة بطين الحيرة..

هل أصبحتُ قطارًا؟! أم ركنًا مهمّشًا في محطّة الانتظار؟!

أم أنا ذلك النّبعُ الذي يروي بسذاجةٍ كلَّ من مرَّ بهِ؟!

أقفُ حائرًا فتجيبني مرآةٌ مزروعةٌ على الحائط المقابل لغرفة النّوم بابتسامةٍ مطبوعةٍ على ثغري، هي ابتسامة سخريةٍ لا ابتسامة فرحٍ بمن عاد.

أجل هي ابتسامة سخرية أقولها في نفسي وكأنني تمثالُ أبي الهول الذي سمعَ جعجعةَ مدافع نابليون بونابرت ثم رآها ترتدُّ حاملةً عار الهزيمة!

أزجُّ بروحي تارةً أخرى في السّرير، والسّريرُ لا يقبلُ إلا النّساءَ الوحيداتِ في المنفى، عساهُ يكفّرُ عن أخطائهِ التي سبقت موتَ العائدة..

روحي غريبةُ الأطوار، حتى أنا لا أفهمُ تفسيرَها لبخار المرايا داخل الحمّام.. أحيانًا أراها واهنةً شاردةً في اتّجاهاتٍ شتّى متعبةً بحمولتها الغامضة تمتطي ظهرَ التّجارب بلا قلق كقاربٍ مثقوبٍ يعرِّضُ نفسَهُ للغرق في ماء البحر الهائج آلافَ المرّات من أجلِ صورةٍ وتذكار.
وأحيانًا أراها تلملِمُ ما تبقّى من الضّوء تحتَ لحافها لتزوّجَ نفسَها لشبحِ الغريب، كأنّها عقدٌ من الخرز لم يتمَّ تنظيمهُ بعدُ، لترميَ بنفسها وتبعثرَ نصفَ ما في الخيط فيسقط الحاضرُ المكسور منها في وليمة الجياع، فتُؤكل! عادت... وعدتُ أنا لأسطِّرَ لسعة الملح القديم في جسدي، لألعقَ بلساني ندبةَ الجرح المختفي خلف تلال السّراب...
كأنّني روايةٌ لم يكتب لها النّسل، لأنّ الرّجلَ الذي اختير لها لم يكن متمرّسًا في الحبّ والجنس، فهو لا يتقنُ إلا الكتابة وفنَّ التسلية.
لماذا عُدتِ الآن؟!

لماذا عدتِ على عَجَلٍ من أمركِ؟!

تريّثي أيها القطرةُ السّاقطة من غيمة ماءٍ، فما زلتُ حجرًا يكبرُ على مهلٍ في اتّساع المنحدر

قالت -وهي القائلةُ- أتيتُ لأبحثَ عن الحياة في لغتك.. عن الرّوح في حديقة منفاك.. أتيتُ لأبحثَ عندكَ.
قلت: غريبٌ أمركِ، أما زلتِ تستدفئينَ بطيفِ رجلٍ سكنكِ يومًا؟!
أتعودين كتعويذة سحرٍ بعدما أغلقتُ عليكِ أبواب الكتاب؟!
أتعودين بكامل عنفوانكِ لتبحثي عن رجلٍ فرشَ منديلَه فوقَ أرضية نهديكِ

ونام مطمئنًّا على نفسهِ؟!

ماتت ولا زالت حتّى يومنا هذا تظنّني ممتلئًا بالأمسِ والذكريات.. وأنا أظنّها قد فارقت الحياة وماتت!

obeikandl.com

كلّ ما في الأمر

وهُوَ يسترقُ النَّظر إلى حياتها بين الفَينة والفَيْنة، والهُزالُ قد بدأ يوَشّح جمالها الغضّ، أَخذتْ حبيبته تطيل النّظر من نافذة روحها إلى باحة فكرهِ المثقَلْ و شارعِ جسده المزدحم بالجراح، ولولا ذلك السّتار الصّفيق الذي انسدل على الماضي، لتقطَّعت نفسهُ حَسَرات وتضعضعت لحوادث الأيام. لكنّه في النّهاية سار مع من ساروا قُدُمًا إلى التّلال الرابضة على قلبه، ليودّع روحهُ ويشهد مراسم الدَّفن، وكلّ ما في الأمر أنّه وجدها تحدِّقُ في هذه الدّنيا القاسية بعينين مغرورقتين بالدمُّوعِ. وجد ذاته المتمسمرّة كعمود إنارة عارٍ، لا يحرّك ساكنًا والنّاس حوله بين ذاهب وآيبٍ...

obeikandl.com

obeikandl.com

لا تَعْجَبي لو تَقَمّصتُ دَورَ
الشّاهِدِ على قَبرِكِ
وأَطَلتُ الوقوف مُشتَهِيًا وسعَ الذّاكرة..

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

حبال مُفترسة

لن تعودَ الرّيحُ لتكون صدى ضحكةٍ مجلجلة، فالسّنواتُ التي تحتاجُها الرّوحُ التي تُعدّ أكبرَ قوّةٍ على وجه الأرضِ لما تحملُه من طاقةٍ في طيّاتها. لن تنموَ ثانيةً، كالأعشاب الخضراء على فوّهة بركانٍ ثائر، لم تعد تكفي حتى وإن عاش المرْء مِنَّا أَلف عَامٍ، فأَلفُ عَامٍ تمضي كأمسٍ في عيون أمٍّ باتَ صباحها بلا ندًى وصرخاتها باتت بدون صدًى..

الأُمُّ الثّكلى كالأرضِ العطشى التي لم ترتوِ منذ عهود، فهي تَحلم دائمًا أنّ ابنَها سَيعود!

نتطايرُ مع أُثير الكون كغبار الوقت الزّائل في ساعة الرّمادِ اللّاهثة فنذوبُ فِي روحِ أنفاق الزّمن الخائن بلا تردّد!

نسافرُ مطلقين أيادينا للرّيح، وكأنّنا طيورٌ اشتمَّت صوتَ العاصفة الغاضبة الآتية من بعيدٍ لتحصدَ كلّ شيء، عاصفةٌ هوجاءُ تحمل معها كلَّ لعنات البحر الثّائر وغضبِ الآلهة التي لا تعشق زقزقةَ العصافير الشجيّة، فنحلّق خائفين بعيدًا بعيدًا فوق سهول القمر نحمل أَحلامَنا بين أصابعِنا المهترئة، فتتسرّب كالماء وتختفي في سراب اللّاشيء، وبعضُنا يطوي ليلَهُ بين ذراعيه نكايةً بالسّراب وبالحياة ظنًّا منه أنه يحميها بشبكة صيد لا ثقوب فيها.

هنا تكون شهقةُ الاحتضار واحدةً، فالنّتيجة المترسّبة عمرًا طويلاً في أحضان

obeikandi.com

التّراب الدّافئ وأحلامٍ قصيرة لا تتعدّى مترين من التّراب..
في بلادي شبابٌ أشبه بالعبيد الذين يتذلّلون تحت أقدام أسيادِهم، وهنا لا أُجمِلُ كلَّ الشّباب طبعًا بل أتحدّث عن حالاتٍ شاذّة لا تحلم بِالكثير، لأنّها لا تنام أصلًا، ولا تستمتع حتّى بأحلام اليقظة، أيّ قوّة جهنّميّة تستدرجُهم لوضع نهايةٍ مستعجلة لحياتهم؟!
أيّ أفكارٍ تستحوذ عليهم لتقودَهم إلى السّفر فيرحلون عنّا إلى حيث حتفَهم؟!

بأعينٍ عمياءَ يرتدون نداءَ الفراغ الفارغَ من الحكمة، فينجحُ المكان بمحاصرتهم وهنا تكمن الكارثة. فقصّة الموت تولدُ من جديدٍ كلما ردّد شيخُ البلدة اسمًا جديدًا لشابٍّ ساقه القدرُ لمعانقة حبل المشنقة، وسقط عائمًا في بحر الهواء، كأنّه بذلك يكون قد احتمى من الموت بطوق النّجاةِ الذي سيخرجه سالمِا من مستنقع الانحدار.
فتعاد قصّةُ النرجس لتروى أمام المعزّين المتعَبين، هم أيضًا من كلّ شيءٍ يحيط بهم مرّةً أخرى وتبدأ الأسئلة تطرحُ ذاتها: من ستكون الضحيّة المقبلة؟! ومن هو الشّاب التّالي الذي سيعلّق أحلامَه على حبل؟!

الانتحار تبلوُر فكرةٍ خاطئةٍ لهجرةٍ غير مشروعة.. الهجرةُ أن تفكّرَ بالفراق المحتوم، هي أن يتفجّر ليلُك المحتقنُ في أيّامك الهاربة؛ فيغدو صباحك كالقدر الأحمق الذي يقذفُ نحوك أغلالًا من الشّهوة الفارغة فتُكبّلك الفكرة لتُوضعَ في تابوتٍ مظلم لا يتّسع إلا لكَ وحدك، وهنا تبرز أنانيّتك التي خبّأتَها في جسدك كلَّ الفترة السّابقة،عندها يتحوّل قلبك إلى مضخّةٍ صناعيّة خالية من العواطف الإنسانيّة والحُبّ. حين تحزم أمتعتك كالآخرين الذين سبقوك

في الرّحيل "فكّر بغيرك" ولا تكُن أنانيًّا ولا تدّع أفكارَك السّوداويّة تُصوّر لكّ أنّك الوحيد في هذا الكون.. من تعذّبَ ووقف طويلًا على باب الخيال الخرافيّ.

وقوفك هناك وهمٌ، وباب الخيال ما هو إلّا كذبة مُصطنعة ترافقك منذ ولادتك فإن خانك حدسُك يومًا وكنتَ في لحظة ضعفٍ ولم تنصت لتكّات ساعتك، اعلم أنّك في أوّل الطّريق السّريع إلى جهنّمَ وسعيرها.

لا تكن كالنّافذة العاريةِ من السّتائر فيخترقَك شعاعُ الموت الشّارد بسرعة الضّوء، فللموت أصابع شفّافةٌ لا نستطيع رؤيتَها ولا لمسَها وهي متمرّسة أيضًا في اصطياد الأرواح المتململة بين الورود وأسرّة النّدى..

وإن فُتح أمامك البابُ الذي ذكرته مُسبقًا أمامك فلا تعدُ كالخيول المتمرّدة على ألوان قوس قزحَ، وتترك خلفك ثيابًا رماديّةً موشّحةً بالسّواد وأفكارًا خالية من المنطق، وأسئلةً لا يستطيع أحدٌ منّا حلّ أجوبتها، وطلاسمَ لا يجيد فكَّ رموزها إلّا أنت..

حاول أن تؤجّلَ رحيلك عنّا ولا تستعجل قطع التّذكرة التي ستأخذك بعيدًا إلى لا حيث.. حتّى ولو كانت التّذكرة مجّانيّة في نظرك، فلتعلم أنّ أهلك هُمْ من سيدفعون ثمنَ رحيلك المؤلم..

اشتدّت قبضةُ الأم الثّكلى على ذراعيّ فنظرتُ في عينيها، تأمّلتها وهي تفتح عينيها على اتّساعهما وغبتُ في نفسي التي لم تحتمل الوقوفَ في هذا الموقف..

رَفعت الأم يدَها إلى فمها لتمنعَ صرخةً كادت أن تفلتَ منها، فالمفاجأة لجَمت لسانها وكأنّها ترى طيفَ ابنها الميّت يقفز من نافذة ذاكرتها، ومضَت عيناها ورفّت رموشُها وهي تفتحهما وتغلقهما غير مصدّقة!

كانت ملامحي إلى حدٍّ ما تُشبه ملامحَ ابنها الذي انتحر قبل عدّة سنوات، عيناي، لوني، قصّة شعري، ابتسامتي، طولي، روحي المرحة، طريقتي في المشي والكلام..

شعورٌ غريب انتاب هذه الأمَّ التي وقفت على خيطٍ رفيع يمتدّ بيني وبين الهاوية، خيطٌ يفصل بين حياة الحياة بكامل عنفوانها وحرارة الموت التي تمنّت دائمًا أن تستدفئ بها لتلتقي بابنها الذي رحل.

obeikandl.com

ما يُسعدني
هو أنّني سأموتُ في الّلحظة
الّتي تبدئين فيها أنتِ
بلملمة أذيال فستانك..

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

زيارة ليليّة

احتمالٌ أن أنتهيَ قبل أن أتمكّن من وضع هذا الفجرِ الغائب عن ميناء عينيّ في صورة الفضاء المحتلّ، المعلّقة دون قصدٍ على الحائط المقابل لسريري، لعلّ القدرَ رتّب لها أن تكون هناك وليس أنا، فأنا لم أدرس فنّ الهندسة المعماريّة، مع أنّي قد تمكّنتُ قبل عدّة سنواتٍ مضت من اجتياز امتحان القبول الذي يمكّنني من دراسة هذا الموضوع في الكليّة المحاذية لمدينة عكا، لكنّي كعادتي أهربُ وأتهرّب من عبء المسؤوليّة التي سأحمل أوزارها على كاهلي المهترئ في المستقبل...

بلا انقطاعٍ يتّخذ المرضُ مكانَه في أكثر الغرف اتّساعًا في جسدي، "هذا إن كان قلبي ما زال في مكانه المعهود"؛ فالمرضُ يقيم عرسه هنا وهناك، عرسَه الذي لا ينتهي، فيجبرُني على مشاركته هذه الصّيغةَ الإحتفاليّة مُرغمًا فلا أحد منّا مُستعدٌّ لمواكبة هذا الفرح الذي نهايتُه عتمة قبرٍ مظلم عبثًا تخفق أجنحتي في عروق اللّيل، كأنّ السّماء جسدٌ وأجنحتي دماء، فأنا يا أصدقائي لا أملك قلبَ طائر الوطواط، ومع هذا عَلّقوني على صليبِ التّشهير وقالوا أنّ قلبي مسكونٌ بالشّرّ الغامض، أطمئنكم أنّي لستُ بساحرٍ ولا أمتلكُ مقوّماتِ السّاحر، ومع هذا يحتاجُ الشّيطان إلى سنةٍ ضوئيّة كاملة من الوقت ليمتثِلَ أمام مكتبي المفتوحِ دائمًا، فالطّابورُ أمامه مزدحمٌ، وكغيره عليه الانتظار لأنظر في شأنه وفي طلبه بأن يكون أحدَ رعاياي المخلصين أو أقلّ ما يمكن أن يكونَ من أحد تلاميذي النُّجباء.

حاصرني المرضُ وكبّل حواسّي كلّها، حتّى أنه دمّر بوصلتي وسلب من دماغي جميعَ الاتجاهات ليقودَني بقسوةٍ إلى محكمة الموت الصّاعق...

الموت زيارة غير منظورة ومنتظرةٍ، ورسمة تستحضرُ ذاتَها لتُكملَ لك غيابَك المؤجّلَ ولعلّه يتجسّد هو ذاته في الرّحلة الحياتيّة الماضية فيكَ قدمًا إلى منفاك الأخير..

لم يكن الموت شابًا طويلًا نحيفَ العود، لا تتّفق جهورةُ صوتِه مع قوامه الخيزرانيّ، ولا طراوةُ كفّه الممدودة لسحب روحك مع مقاطع كلامه كما تخيّلته مسبقًا!

بل كلُّ ما رأيتَ في صورة الموت المزهر أنّه على شكل فتاةٍ في ربيع عمرها؛ عيناها بحرٌ من النّجوم الملوّنة تعتلي أرجوحةً مرصّعةً باللّآلئ والحُبّ، فتاة متحرِّرة تعيش الحياة بكلّ مباهجها!

وحيدٌ أنا في لغو الحياة، مريضٌ مطاردٌ من فتاةٍ تخطف أرواح البشر مؤمنين كانوا أم لا، كأنّ رحيقَ أريجها الفائح يعسكرُ في باحة سريري، يراوغ آخرَ الأنفاس الخارجة بلطفٍ من قفص صدري..

»في كلِّ باحةٍ قفصٌ وقنصٌ"

مرّت لحظات عصيبة عليّ وأنا أقارع فيها كينونةَ ذاتي التي تزداد ضعفًا وتعبًا، لحظات سكون خيّمَت في سماء ذهني ولم يكن القمرُ الذي أعرفه قد نهض بعدُ. بروقٌ باطنيّة تستحوذني في طيّاتها لأسألَ عن القمر، أقول في نفسي لعلّه مريضٌ مثلي، لعله يخشى حرارةَ السّماء التي استدفأت من حرارة

جسدي، ولعلّه في إجازةٍ رسميّة..

الحرارةُ ترتفع، وأنا الآن أقربُ لمعانقة فتاةِ الموت المتأهّبة لإصطحابي معها في رحلتِها الطويلة. لم أعُد أميزُّ الأشياءَ على طبيعتها، فالغبشُ قد طوى كلَّ شيءٍ حولي، حتى أصبحتُ لا أستطيعَ أن أتعرّفَ على الأشخاص الذين يمرّون بي إلّا من أصواتهم أو طريقة مشيتهم.. يا لسذاجتي المفتعلة عن أيّ الأشخاص أتحدّث هنا؟! لعلّها الحميَة والحرارة الزّائدة التي تعتري جسدي، تجعلني أهلوس الآن حتى في كتاباتي.

الزّائرُ الوحيد الذي طرق بابي كان الموتُ الذي يتقمّص دورَ العاشقة التي أتت قبل موعدها لتلتقي بحبيبها الخائن! حبيبَها الذي لم يسترح له أحدٌ من النّاس الذين قد عايشوه لطريقته الغريبة في عيش الحياة، علاقاته الكثيرة والمشبوهة، وإدمانه الخمر، وارتياده الحفلات اللّيليّة الصّاخبة.. وكتاباته الإباحيّة التي تستفزّ الكثيرين من الأشخاص الذين لا يفقهون شيئًا من كتابة الشّعر ونسج الخيال.. هم لا يفقهون شيئًا من المعنى الكامن خلف تلّة الحرّيّة الشّخصيّة التي يجب أن يتمتّع وينعم بها كلّ شخص حيّا كان أم ميتاً على هذه البسيطة..

لهذا لِيَ الحقّ كلّ الحقّ أن أرفضَ تقبيلَ فتاة الموت التي أتت لتتركَ وحلَها الأسود تذكارًا في ثياب أهلي وأصدقائي الذين لم أتمكّن من رؤيتهم بسبب وعكتي الصحيّة، ولظروفِ حياتِهم القاسية التي تمنعُهم من رؤيتي، ومزاولة عملهم في التنغيص اليوميّ الذي يثير غضبي، فأسئلتهم الكثيرةُ المتكرّرة عن فكرة زواجي وارتباطي بفتاةٍ تحملني وأحملها لا تقلّ موتًا عن الموت الذي نعيشه في قصّة البحث المزيّف عن السّلام في هذه الرقعة التي نعيش فيها،

فعيونُهم الحمراءُ تحملقُ في كلّ الأشياء التي تحيطُ بي وبعلاقاتي غير المشروعة.

تحاول دائمًا أن تعِي ما حولها وتحاول أيضًا امتطاءَ جميع الجياد التي أمتلكها أنا بلا فائدة.

أنا لا أتحدّث الآن عن أسطورةٍ إغريقيّة قد محاها غبارُ السّنين، بل أتحدّثُ عن واقعي الحاليّ وقلبيَ الذي ما زال كرةً تتدحرجُ على سلالم المزاج المتقلّب.

مع كلّ فجرٍ أعدّ نفسي للرّحيل والفراقِ من كثرة حسدهم لي، حتى أضحى جسدي كنصف شمعةٍ منتهية تتربّع وسط كعكة لعيد الميلاد، وروحي التي لم تستحمّ بماء العنب منذ فترةٍ زمنيّةٍ لا بأسَ بها، فهي ما زالت تتمدّد في سرير جسدي المريض وتتوهم أنها قد نامت لتتقاسم ثقلَ اللّيل على صدري دون أن تنتبه لطعمها المرّ في فمي!

لا أعلم يا أصدقائي لما جرفتني هذه المياه الموحلّة إلى هنا، لكنها جعلتني أدور وأندف وأتساقط أمامكم كالحبر الذي ينتحب ندمًا على خطيئته في تشويه هذه الصفحة البيضاء.

obeikandl.com

كعبٌ عالٍ

أسمعُ ضرب مِطرقتها على الرّخام، يرفعها كعبها العالي ليتسنّى لها تسريح بصرها في الطّبيعة السّائرة من حولها ، كُلما ضاقت خطواتها ارتخى الرّخام من تحتها، تحوّل إلى طحين مبلّل بالعرق.

وانتهى الأمر بالمزيجين أن بات في مستطاع كعبها العالي أن يأخذ عصير الرخام في لسانه ويشبعهُ لثمًا وتدليلاً.

obeikandl.com

إلى البحر:
تُزعجني كثيرًا
مياهُ حُبّك
حين لا تتعدّى
حدود شواطئي.

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

البطلِ

حاوَلتُ جاهدًا أن ألتَقِطُ أنفاسي وأُهدّئ أعصابي وأُقنِعَ نفسي أنّ ليسَ هُناك ما يدعو إلى القلق..

لم أتجاوز الثالثةَ عشرةَ من عمري، كان جسمي الصغير لا يدلّ على "بلوغي" فبنَظر الكثيرين من أبناء عائلتي وأصدقائي كُنتُ ذلكَ الوَلَد الذي لم يعتلِ سُلَّمَ الرجولة بَعدُ، لَم يَكُن ذلكَ الجسدُ النحيل الصغيرُ يوحي بشيء من ذلكَ العالم الهَمَجيّ، فالرّجولة كانت وما زالت في نظر مجتمعنا هي القوةُ الجسديّة والهيبةُ الجسمانيّة فقط...

طولُ القامة وضخامة الجسد والعضلات المفتولة صفةٌ من صفات الأبطال في عالم الأسطورة والخيال، وللواقع الحاضر حصّة الأسد في بلداتنا العربيّة، بِقَدرِ ما كان ذلكَ يزعجني حينها بقدرِ ما يقضّ مضجعي في يومنا هذا أيضًا.

أذكر حينَ أمسكَ صديقي أسعَد يَدَ فتاة أحلامهِ لِيُغيظني ولا عَجَبَ في ذلك لأنّي بنظرِ صديقي لَستُ شابًّا، كانت شهوتي الشّيطانيّة تزدادُ تَوَهُّجًا كأنوارِ المصابيح في شوارع البلدة التي أسكُنها وما كانَ يقتلني في حينها غيرُ هاجسٍ يستفزُّ صَفوَ تأمُّلي، وذاكَ السّؤالُ الثّقيل الصّعب أيضًا، والذي كانَ يوازي نَفسَ الشّعور الذي ينتابُ صاحبَ البدلة الحمراء المحكومَ عليهِ بالإعدامِ شنقًا، وهو هل سأحظى بما حظيَ بهِ صديقي أسعد من لَعب دورَ العاشِق المتيّم في يومٍ من الأيام؟!

لَم أكُن ذلكَ الشابَّ الوَقحَ أو القاسيَ، بَل كُنت بعيدًا كُلّ البعد عن هذه

السّمات..

رُبّما مبنى جَسدي لم يساعدني، أو بكلمةٍ أخرى كان يَحُدّ من أن أكون ولدًا شرسًا، وهذا لم يشكّل العقبةَ الوحيدةَ أمامي في أن ألتحقَ بزمرة بعضِ التلاميذ، فكانت البيئة البَيتيَّة التي تحيطُ بي توفرُ الأمانَ النّموذجيَّ لي ولأخوتي، والتّربية الصالحة المثاليّة التي تلقّيتُها على أيدي خبراء مُختصّين كأبي وأمي هي أيضًا عائقٌ وحاجزٌ في الطريق المؤدي إلى محطة الضياع..

البعضُ من أصدقائي كان يتصرّف ولا زال حتى الآن "فمن شَبَّ على شيءٍ شابَ عليه"، بطُرقٍ غير أخلاقية وغير تربويّة حتى في معاملتهِ مع الجنس اللطيف فلا زالت لكلماتهم البذيئة وتفوهاتهم السوقيّة صدى رنينٍ يرهقُ الوتر الحسّي لأذني التي مارست طقوسَها اليومية في سماع السيدة فيروز، كانوا يتصرفون وكأن قانونَ الغاب ما زال سارياً، لمَ لا وأجسادهم الضّخمة تخوّلهم من أن يتعاركوا يوميًّا في ساحة المدرسة بعد فترة الدوام ليُثبِتَ كُلّ واحد منهم لصديقتهِ أنّهُ الأقوى..

أمّا أنا فكنتُ أتحاشى ذلك الصراعَ الآدميَّ لخشيتي من أن تُكسرَ شوكتي الملوّنة في ربيع عُمري وبما أنّ هزيمتي كانت حَتميّةً وواضحةً أمام أنظاري، لم أترك نفسي لسذاجة الخيال الذي كان يصوّرُ لي بأنّي لو احتسيت شوربة الخضار التي تتقنها أمي أربع مرّات في الأسبوع، هذا سيمكنني من أنّ أهزم أبناء جيلي الواحد تلوَ الآخر وأن أفرض سيطرتي الكاملة على الهيجان المتفاقم في ساحة المدرسة ليسودها بعد ذلك الاستقرارُ والأمان والكثيرُ الكثير من الهدوء...

كانت ساحة مدرستي أشبه بمبنى "الكولوسيوم"، مُدرج روما القديم، حين كُنت في روما قرّرتُ زيارة هذا المبنى الضّخم في وسط العاصمة الإيطاليّة،

هناك وأنا أقفُ على باب هذا الصّرح العظيم، عادت بي ذاكرتي إلى تلكَ الأيّام التي مَرّت عليّ وتركَت في نفسي أثرًا وندبةً لا تنسى تلكَ الأيّام الدّراسيّة بحلوها ومُرّها...

لم يكُن "الكولوسيوم" بالنّسبة لي تحفةً هندسيّة معماريّة فنيّة لأنّها لم تعدني إلى عظمة العالم القديم وعنجهيّة الإمبراطوريّة الرّومانيّة، لقد أعادتني حجارتها فقط إلى المعارك الدّامية التي كانت تُقام في السّاحة الخلفيّة لمدرسة الرّازي الابتدائية...

لقد كانت صدمتي عنيفة عندما لمستني تلكَ الفتاةُ بأناملها السّحريّة وعانقتني للمرّة الأولى، ابتعدتُ عن لينا وكأنّ تيارًا كهربائيًّا لامسني، بصراحة لم أكُن معتادًا على ذلك النّوع من المداعبات...

أخذت لينا من أمّها تلكَ التقاطيعَ الجميلة الجذّابة وذلك الخصرَ الدّقيق ولون بشرتها أيضًا، وما كان يميّزها عن باقي الفتيات الأخريات خصلاتُ شعرها الغارقة في سوادٍ حالك كسواد اللّيل...

لينا فتاة في غاية الجمال، كنتُ دائمًا أردّد هذا في عقلي الباطنيّ وطالما كنتُ أحسدُ الثيابَ التي تحتويها.

كان الكثيرون من أصدقائي يتمنّون لمس يدها وكانوا يتسابقون فيما بينهم مَن منهم سيكون أوّلَ من يوقعها في شِباكِ غرامهِ ، كانت تلك الفتاة الرائعة لينا تُشكّل بعنفوانها الأنثَويّ محطةَ الرّهانات الأولى والأخيرة لجميع من عايش تلك الفترة من الشبوبية المراهِقة ، كانت فتاه ساحرة وفاتنة وجمالها لا يقاوم ...

أما لينا تلك الفتاة الناعمة كانت دائمًا تهزُّ برأسها نفيًا رافضةً إقامة أي علاقة من أيّ نوع ما مع أحدهم...

ذاتَ مساء وفي إحدى الفعاليات المسائيّة التي كانت تقام أحيانًا التقينا أنا وهي وجهًا لوجه داخل المكتبة المتواضعة التي كانت مهجورةً تمامًا في حينها ...

اقتربت منّي لينا وصرّحت لي همسًا عن مدى حبّها وعشقها لي وعن مدى إعجابها بشخصيّتي الهادئة وعقليّتي الرّزينة التي كانت مغايرة للشّخصيات المحيطة بها من أبناء جيلي...

كنتُ أدرك مدى خطورة هذا التّصريح وأعي تمامًا المخاطر التي ستواجهني في علاقتي مع لينا ومع هذا لم أتردّد في أن أحلُم بها يوميًّا في المنام...

كانت خبرتي في عالم النّساء لا زالت في مهدها ومع هذا كنت أعشق ذاك الشّعور الذي ينعشُ رجولتي. رويدًا رويدًا اعتدتُ مقابلتها خلسةً، ولينا أعجبها أن تكون بين ذراعيّ ولم تندم يومًا على دخولها هذه التجربة، حتى أصبحتُ أنا شيئًا هامًّا وضروريًّا في حياتها، ولا أخفيكم سرًّا فهي ملأت الفراغَ العاطفيَّ الذي كان يحاصرُني ويتعبني، لكن كان لا بدّ من معجزةٍ لأثبتَ للآخرين بأنّ الرّجولة التي يتفاخرون بها لا تنقُصني وأنّي في بعض الأحيان حتى أتفوّق عليهم بالنّضوج الذّهنيّ والوعيّ الثّقافيّ الزّائد، فثقتي بقدرتي على التّحكم بالأشياء وبلورتها لتكون تحت تصرّفي لتخدم مصلحتي الشخصيّة لم تهتزّ أبدًا..

حَدّقت سامية متوتّرة بساعة الحائط المعلّقة في غرفة الصّف، "يجب أن يصل، يجب أن يصل! تأخّرَ نصف ساعة، لم يحضر حتّى الآن.. سأُعاقبه.. سأعاقبهُ! أخذت تردّد الأستاذة سامية أمام الطّلاب الحاضرين في غرفة

الصّف". طَرقتُ باب غرفة الصّف فأجابت من الدّاخل الأستاذة سامية:
" أدخُل يا سلطان أنا لم أبدأ الحِصّة بعد، كلّنا في انتظار معاليك"، قالتها بلسان السّخرية ولم تأبه لمشاعري الحسّاسة...
بخُطواتٍ تدقُ رأسَ الرّخام المتّسِخ المرصوف تحت قدميّ دخلتُ وتأملتُ في عيون الطّلاب ولم تُغطِني ابتسامتهم الخبيثة المرسومة باللّون الأصفر على مُحيّاهم كأنّ وجوههم لم تُغسل في ذاك الصباح...
كان شيئٌ ما في داخلي يقول لي "يا سلطان اليوم يومك" فلا تدعهم ينتصرون عليك.
هذا الهاتف لم يفارقني أبدًا، حتى بعد ما لوّحَتْ الأستاذة سامية بالعصا الخشبيّة التي لم تكن تفارقُ حقيبتها السّوداء الكبيرة.
رفَعت صوتها في وجهي، صراخها لا زال يراوُد أحلامي حتّى الآن وسألت: لماذا تأخرت؟! ما السّبب؟!
تَذَكّرتُ في الوقت المناسب تلك المحطّة التّلفزيونيّة التي بثّت فيلمًا وثائقيًّا عن انقراض الدّيناصورات في اللّيلة الفائتة وأنّهُ من المفترض أن تكون لهذه الوحوش الحصّة الكافية من حيلتي التي سأبتكرها للتوّ..
حملقتُ في عينيها دون خوفٍ، وكانت هذه المرّةَ الأولى التي أكتشفُ فيها لون عينيها من شدّة خوفي منها، ولكن هذه النّظرة كانت كافية لِتَقَع المعلمة في شباكِ مكيدتي، كُنت قاصدًا بهذه النّظرات أن أخلِقَ جوًّا من الإلفة بيني وبين مُعلّمتي.. شيئٌ ما دفعني للصّراخ ولم أُردّد غيرَ كلمة واحدة أمام معلّمتي والطّلاب الذين أصابتهم الوهلة واعترتهم حالةٌ من الخوف...
وحشٌ وحشٌ يا معلّمتي..
فجأةً وبدون مقدّمات أرخت يدها لتسقُطَ منها تلك العصا الخشبيّة التي

obeikandl.com

هدّدت بضربي بها... أحدَثت العصا ضجّة هائلة في غرفة الصّف، فالشّعور بالهلع والخوف بدا واضحًا على ملامح التّلاميذ الصّامتين، وأيضًا رُسمَ على وجهِ مُعلّمتي سامية رغمَ قوّتها وجبروتها التي اعتدنا آنذاك عليها، ورافقَ هذا الشّعور ناقوس الهدوء الذي عزَفَ بلمساتهِ السّحريّة على أنفاس الحاضرين في الغرفة..

فُتِحَ باب الغرفة دون قَصد وإذا بالمدير –عطا– يكسرُ فضاء الصّمتِ بصوتهِ الخشن، سأل متعجّبًا: وحش شو يا سلطان؟! شو صاير معك؟!

عندها بدأت الحكاية تتطوّر وبدأت أشرحُ لهُ كافة التّفاصيل عن الحادثة الوهميّة ...وصَفتُ للمديرعطا شكلَ الوحش المزعج الذي هاجمني والذي لم يكن موجودًا إلا في خيالي.

كانت كذبتي تبدو واقعيّةً، فحكايتي كانت منسوجة بكلّ وسائل الإقناع...

لم يتردّد المدير حينها في الاتّصال بالشّرطة وإعلامهم بالأمر وهناك بدأت الإشاعة الكاذبة عن عركتي مع الوحش تتناقل وتكبر حتى وصلت إلى وسائل الإعلام...

لِحسنِ حَظّي في ذلك اليوم كانت شركة الكهرباء كعادتها من كلّ سنة تستعمل طائرتها العموديّة لِرَشِّ سائلٍ ما، لا أعرف حتى الآن ما مدى تأثيرِهِ على العمدان المعدنيّة الكبيرة، وبما أنّ بيتي كانَ مُحاديًا لهذه العمدان البعيدة عن مركز القرية تعزّزت الإشاعة الكاذبة، فبيتي يحتلُّ جزءًا من البقعة الخضراء الواقعة على أحدِ أطرافها النّائية...

كانت جماهير غفيرة تنظرُ من بعيد على تلكَ الطّائرة ظنًّا منهم أنّها هنا خصيصًا لقتلِ ذاك الوحش الذي هاجمني وهاجم بيتي.

لم يتجرّأ أحدهم من الاقتراب من بيتي، خوفًا من ذاك الوحش وهذا ما كان

يطمئنني، فبخوفهم هذا لن تُكشفَ كذبتي أبدًا.
عند المساء عادَ والدي من العمل وإذا بهِ يرى حركةً غريبة وغير طبيعيّة، كانت سيارات الشّرطة تتواجد في محيط البيت، كانت بانتظاره ببساطة لم يقتنع رجالها بما ردّدهُ أهالي البلدة من قصصٍ خرافيّة عن الهجوم اللّيليّ للوحش الطّائر المفترس.
لا أنسى نظرات والدي لي كانت جديّةً ثاقبة متسائلة عن سبب وجود الشّرطة في باحة البيت...
بدأ ضابط الشّرطة بالتّحقيق مع والدي المتعب من جراء عملهِ الشّاق طوال النّهار، أمّا أبي فكانت ملامحهُ الغاضبة تثير تعجّبَ ضابط الشّرطة فمنظرهُ لا يبدو متعاونًا معم فهو لا يطيقُ رؤيتهم وبدا وكأنّهُ لا يأبه لوجودهم، فكلّما سألهُ الضّابط عن قصّة الوحش الذي هاجم بيتنا قالَ أبي بسُخريّة غير اعتيادية: "وحش مين والناس نايمين".

أبي إنسانٌ مَرِح ولكنّهُ لا يبتسم حتى في المواقف الصّعبة كالتي يَمرُّ بها بيتنا في هذه الأيّام...
عندها وَضّحَ لهُ الضّابط الأمر الذي جعل رجال الشّرطة يحاصرون المكان وشرحَ لهُ القصّة المتعلّقة بالإشاعة منذ البداية..
اعتذرَ أبي إليهم، ولصغر سنّي لم أُقَدّم لمحاكمةٍ قضائيّة بتهمة إزعاج السّلطات...
في تلكَ اللّيلة ضربني والدي ضربًا مُبرحًا حتى غدا جسدي بلون زهرة البرقوق الأحمر، وكانت علامات الضّرب واضحة على وجهي، فلكماتُه القويّة تركت أثرًا رهيبًا وكأنهُ بقوّتهِ المفرطة غير ملامح وجهي كُليًّا وهذا ما عزّز انتشارَ الإشاعة الكاذبة، فكلّ من رأى وجهي بعدها قطعَ شكهُ باليقين وتأكّد بأن

معركتي مع الوحش لم تكُن مجردَ كذبة أو نسج خيال...
بعدها بدأ التّلاميذ في المدرسة يتناقلون الحكايات والإشاعات فيما بينهم، كان كلّ طالب من طلاب المدرسة يحاول أن يصوّر لزميلهِ ضخامة ذلك الوحش ويشرح لهُ مدى قوّتي التي أبرزتها في معاركة ذلك الوحش الغريب...
فَرحت لينا لأنّها أصبحت بين ليلة وضحاها حبيبة البطل الأسطوريّ الذي لا يُقهر...
أمّا أنا فلا زلتُ حتى يومنا هذا، ذلكَ الشّخص الذي يعاركُ الآخرين بحنكتهِ ودهائهِ ولسانهِ الحادّ...
وكما قالَ جدّي خليل رحمهُ الله: "إذا أردتَ أن تكون بطلًا عليكَ أن تكون شخصًا دبلوماسيًّا وسياسيًّا مُحنّكًا".
أمّا أنا فأقول لكم إنَّ أوّلي ليلٌ وآخري حديقةٌ لا تُطلُّ على أحد، مات ظلّي تحت ورودها، ولاشيء يحملني وأحلامي سوى ربِّ هذا البلد...

obeikandl.com

obeikandl.com

سأُلمِّع أزرار سُترتي
وأصفّقُ للنّهار
كي تعود الحكايات
إلى جسد المعجزات،
لولا الحكاية
لما تناثَرتُ ما بينَ المِشْمِشيّات حُبًّا.

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

الموت لجارتي

أنقذوا ما تبقّى من سماءٍ وجوهِكم، كي لا تتكدّسَ أحلامُكم في جوفِ سردابٍ من الظّلام الأبديّ السّحيق.
يا لهذا الإله المزركشِ الذي يصاحبُ وجوهَ النّاس في اللّيل دون خجل...
يتوحّدُ في ابتسامتِهِ ليغريَ كلَّ العاشقاتِ السّاهرات على الشّرفات والنّوافذ، يُمرّغُ وجهَه في الغمام كلَّ ليلةٍ نكايةً بالطّبيعة، وربّما كي لا تراه جارتُنا يسهرُ معنا ليسلبَ ما ليس لهُ من حياةٍ...
الشّأن شأنُه، هذا لا يزعجني، بل يزعجُ جارتَنا التي تهزُّ برأسِها بين الفينةِ والأخرى، ليتأكّدَ زوجُها صاحبُ الشّهادةِ المحترمةِ أنّ زوجتَه ما زالت على قيد الحياة!

يا جارتي الحمقاءَ، هذا القمرُ الذي يفترشُ السّماءَ لا يقود بناته النّجماتِ إلى زيجاتٍ لا يدرين عنها شيئًا الواحدة إثر الأخرى خوفًا من انتهاء صنف الذّكور من الشُّهب والنّيازك المتحرّكة...
قالت: لم يتغيّر!
قُلتُ: ولن...
لم تتغيّر، لم تحكِ لنا شيئًا عنك، كَفّكَ دائمًا ممدودة إلى خزائنِ قلوبِنا، تفتحُها وتغلقُها، تَحتّ كلَّ ما فيها وتنبشُ أشياءَ لم نكتشف نحن أصحابها وجودَها فينا من قبلُ...

رغم هذا أُحبّكَ، أحبّ بزّتَكَ الصّفراءَ البيضاء المزرقّةَ وأنتَ مثلي عزيزي القارئَ تحبّه مثلي. نعم، أنظر إليه واتبعهُ لتبدأَ بالتّمايُل، ما أجمل أن ترى نفسكَ في مرآته، يكفي أن تنظرَ إليه فقط ليشملَكَ بسحرِه فتدخل في غيبوبة الموت المؤقت، حدّق به قليلًا ليسقطَكَ وجهُه المنيرُ في بحيرة الإحساس، أجل ستعشقُ التفافَه حولك، ستحبّه لأنّه الوحيدُ القادر على مُحاكاتك. كعادته سيقذفكَ بدوائرَ متتاليةٍ من الفرح، دوائرَ لا تكفّ عن الاتّساع ...
أُحبّك رغم هذا الصّمت الذي يعتريك، ربّما لأنّي أراكَ كما أشتهي، أراكَ قمرًا، أراكَ كما أنت، تجمع من أقنية وجوهنا هالةَ ضوءٍ خفيفٍ لتؤنسَ عزلتنا ووحدتنا.

من اليوم عليكَ أن تقدّر ظروفي، عليكَ أن تعذرَني لأنّي لن أنتظر بزوغَكَ في إحدى ليالي الحصاد بل سأتبع هالتكَ المدوّرةَ وهي تتدحرجُ أمام ظلّي الذي يسبقني دائمًا على الإسفلت، سأراكَ هنا وهناك، على الشّوارع، على الطُّرقات، بين أروقة الأزقّة سأراكَ كلّما سَكَبتْ جارتُنا الحمقاء دلوَها الممتلئ بماءٍ متّسخٍ، كلّما دلقَته على أرضيّة الشّارع، سأراكَ وأسمعُكَ، حين أسمع صوتَها كُلما حاولتُ منعَها من قتل صورتك الجميلة، سأسمع صوتها الذي يصمُّ مثل ورشةٍ جهنميّة تنزلق من الفضاء وهي ممزوجةٌ بصمتٍ يكبحُ أنينكَ المتواصلَ كلّما داس عليكَ أحدُ المارّة....

اللّوحة التي بكت

بينما كنتُ جالسًا إلى منضدة المكتب والحُبّ يمشي حولي متلمسًا تفاصيل الهواء، رسمتُ فتاة أبصرتني ذات يوم حائرًا فوق عذوبةِ حديقتها وكي لا ينقص شيئًا من ألق نيّتي، عملتُ على رسمها وهي مرتدية فستانًا من القُرنفُل والياسمين، ورسمت لها قلبًا عصيًّا على الاحتراق، وعينان تذرف دمعًا لا سلوى له. دَثّرتُ جميع ملذّاتها السرّية التي هزمتني بها يومًا، ومع هذا فقد نقلت إليها كثافة دمي الحار وحرارتهِ..

رغم أنّ هذه القصّة ضئيلة العلاقة بالواقع إلّا أنّ اللّوحة ابتَسَمتْ وفاضَ الورق الملوّن حُبًّا، عانقتُ ثلجها ونارها كما أنّ الهواء الذي استسلم رقصًا لرائحتها دفعته حاجة إلى التأوّه لا يمكن كبحها..

obeikandl.com

obeikandl.com

سرّ الخلود
يكمن في عبق الكلمات
لهذا آقول لكِ الآن
لو كان جميل بثينة حرفًا
ما مات!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

رحلةٌ في حلقاتِ دُخان

كانت حُدودُ دُنياي تنتهي عندَ الزيتونةِ الكبيرة في السّهل المقابلِ للبيتِ الذي أعيشُ فيه، وخَطّ شجر السّرو الذي يفصلُ بيني وبين البحر كلّما سبَحَت أنظاري وعامت لتشقّ عبابَ يمّها عبر نافذة البيت الغربية...

إلى أن تَسَلّلَت خلسةً إلى هذا العالم الصغير؛ شبكةٌ عنكبوتيّةٌ بمثابة الإبنةِ الكبرى للحياة التّكنولوجية التي لا أفقهُ من خرائطِها شيئًا، شبكة أعادت وعن دون قصدٍ نبض الحياة إلى قلبي....

شبكةٌ انتشلت بخيوطِها كلَّ الفراغ الذي كان يعتريني فبخيوطِها دثّرتني من صقيع اللّيل، وبخيوطِها علّقت وحدَتي وحَكَمت عليها بالإعدام شنقًا..

إلى أن تعرّفتُ من خلالها على فتاةٍ رائعةٍ هادئة، وذات يوم وأنا أُقلّبُ صفحاتِ هذه الشّبكة فوجئتُ برسالةٍ بعثتها إليّ هذه الفتاةُ لأكتبَ عن حالتِها وعن المأساةِ التي مرّت بها، وبدأَت رسالتَها بقولها:

هذا ما يحدثُ هناك...

أنا فتاةٌ برّاقةٌ جَذّابةٌ أحيا في ظِلال الضّوء على أبوابِ مدينةِ الملح، مدينةٌ لا رياحَ فيها ولا مطر.. مدينتي حكايةٌ قديمةٌ قابعةٌ في موانئِ النِّسيان..

لا سقفَ لها، خاليةٌ من الرّحمة، لا نظامَ فيها، كلُّها عبارةٌ عن أعمدة..

مدينتي كروايَتي لا تتكَحّلُ بِنبضِ الحياة...

تَجوبُ قدماي أطلالَ شوارعِها النّازفة وميادين الضياع باحِثةً عن الموتِ في

دَفَقِ جنونٍ هائجٍ، فلا أجدُ غيرَ مدينةٍ خالية من البشر، لا أسمع فيها إلّا صدى صراخي مرتدًّا من وراء الأعمدة..

هذا ما يحدثُ هناك...

تحت الأعمدةِ تكسّرَت ملامحي وتبعثرَت جدائلُ الياسمين اليانعة فوق رأسي،

تحت الأعمدة فقدتُ شهيّتي للحياة، أمّا هو فازدادت شهيّته الجائعة!

حاولتُ الهروبَ من أنيابهِ ومن قبضة يدهِ الملتفّة حول عنقي بالصّراخ وكثرة التّوسّلات...

"اتركني إبعد بدّيش ألعب هاللّعبة"، أصرخُ وما مِن مجيب.. أصرخ صرخاتِ الألم وكأنّني أُجلَد بسياط الرّجولة الحيوانيّة وكأنّنا وحدنا في هذا العالم الهمجيّ.. لا صدى إلّا لصرخاتي...

شَدَّني وأسقطني أرضًا بعد أن شَقَ عنّي نصفَ الثّياب ونصف الحياة وأخذ يداعب بكلتا يديهِ ما تبقّى من جسدي، أمّا أنا فكنتُ تحته كالجثّة الهامدة بلا حِراك أنظر إلى عينيه متوسّلة بعين واحدة وبالعين الأخرى أنظر إلى الضّوء البعيد تحت الأعمدة، لعلّ وعسى يكون لي منه ملجأ وأملًا في الفرار من مصّاص الدّماء (دراكولا) الذي أرغم نهديّ على التحوّل إلى وجبة ساخنة متناسيًا وعوده الكاذبة وكلامه عن قصص الحبّ والغرام....

وتحت شمس النهار بين الأعمدة سقطت راية العشق وأخذت الرّيح أنوثتي وباقي ثيابي بلا تردّد... ولم يبقَ في المكان غير باب فرجي المفتوح...

مزّقني، مزّق أحلامي وغشاء بكارتي وتركني أتمرّغ بالتّراب والوجع،

مكسورة الخاطر، فارغة من المنطق لا أحمل في أحشائي غيرمائه السّاخن..

اغتصبني ونزع الطّهارة من روحي كأنّه ذئب ليلٍ لا يرى غير شاةٍ عارية.. تمدّد فوق جسدي النّحيل كثور أعمى يضاجع بدمائه الحارة ولا يميّز بين اللّحم والعظم، لا يأبهُ لصرخات جسدي العاري تحت الأعمدة الشّامخة في وجه الشّمس وحريّة الجسد.

لا أحد، لا أحد...

لملمت بعض أعضائي المتناثرة التي تبقّت وعدتُ إلى بيتي حزينة أنظر للحياة نظرة سوداوية. دخلت منزلي وقصدت باب غرفتي وأنا أحمل كل شوائب الزمن القذر الذي انتهك حقي حتّى في العيش الكريم...

obeikandl.com

إلى:
الإنسانة
العاملة
الشّاعرة
المجاهدة
الكاتبة
الأديبة
الأم
البتول؛
كُلّما إرتشفتُ من قهوة الزمن حُبّكِ
خسرتُ من العمر دقيقة،
وما أجمل تلك الخسارات
التي تُنبِتُ في كل ثانية حديقة...

أوجاعُ الياسمين

obeikandi.com

قلوب بيضاء

جاءت قصّتي متأخّرة كما حضورها الذي فاجأني من حيث لا أتوقّع... أَهربُ إلى سيجارة أحملها بين أصابعي لأرسم التصاق الحبّ بأناقة الكلام؛ فتصبح عروقي شفّافةً كالدخان الأزرق، أمّا هيَ فتُداعبُ طباعَ خيبتها لتتقمّصَ دور عذراء تُقدس الماء وتراب هذه الأرض المغتَصبة...

قبلَ هذا اليوم، لم يحدث أن انحزتُ لأحد الأحزاب السّياسيّة المفروضة علينا في ساحة النّضال الفلسطينيّ، كنتُ أمثّلُ دور العاهر السّياسيّ الذي يُتقِنُ فنَّ الانتقال بين دهاليز تلكَ الأحزاب المتعدّدة. كان همّي الوحيد هو البحث عن ذالكَ الدّواء الشّافي للجرح الفلسطينيّ، هذا التّدحرج الذي حوّلني ككرة تحرّكها أقدام الأحزاب المتناحرة في ما بينها لأسباب نجهلها أو نحاول جاهدينَ تجاهلها كي لا تتضح لنا تلكَ الصّورة التي لا نريد ببساطة أن نراها لأنّها تحمل في طيّاتها نكهة كريهة تأخذنا إلى لا حيث، لتملأ ثقوب ذاكرتنا بالكذب والنّفاق والكلمات الفارغة فقط....

كنتُ أعلم في قرارة نفسي أنّنا أُناس نعشق حقبة التّشرذم والانقسام، ولم تُدهشني يومًا حماقة الألوان المتعدّدة التي لا تحملُ صبغة الألوان الأربعة للعلم الفلسطينيّ.

لعل كتابتي الآن عن هذا اللّقاء الحميم الذي جمعني بتلك الفتاة لا يتناسبُ بنظركم مع البداية السّياسيّة لقصّتي، لكنّي شعرتُ بهذا الرّباط السّرّيّ المقدس بين علاقتي بتلكَ الفتاة وكرهي للتعدّديّة الحزبيّة التي تجتاحُ واقعنا الفلسطينيّ ككلّ...

لم يكن لقاؤنا استثنائيًّا، بل كان كالرّصاصة الخاطفة التي تتحدّى عشقنا لهذه الأرض وحبنا للحياة، فقبلَ أن تصلني كلماتها داهمتني تلك الرّائحة الوطنيّة التي كانت تُميّزها في تلكَ اللّحظة، ولباسُها "الفلكلوري" الفلسطينيّ المطرّز بلون رايتنا والذي بدورهِ أوجع ذاكرتي قبلَ أن يوجع شهوتي... ببساطة أعادتني تلكَ الفتاة إلى حيثُ تركت جدّتي فاطمة شالها الذي كان يميّزها في قرية البروة المهجّرة التي احتلها هذا الكيان الغاصب عام ١٩٤٨.

ان يمكن أن نتعرّف إلى بعضنا من خلال عشقنا للوطن وللكوفيّة الفلسطينيّة التي كانت تعانقُ دفء ثورتنا الداخليّة، كانت الكوفيّة تميزنا في تلك القاعة التي تمتلئ بأشخاص غريبي الشّكل والمظهر رغم "انتمائهم" الواضح للقضيّة الفلسطينيّة، وهنا أنا لا أزايد على أحد، فلا تتّخذوا من كلامي موقفًا ضدّي. بكثير من اللّباقة ابتسمتُ لها حينها، كانت عيناها تُطارداني في كلّ الاتّجاهات وكنتُ كمن يُخبّئ في جيوبهِ شموسًا شاردة فأشْعَلتهُ نارها وأحرقَتْ جمراتها ثوبهُ وما بين ضلوعهِ.. حاولتُ جاهدًا إخفاءَ إعجابي بها، كُنتُ أختلِسُ النّظر اليها بحذر حتى تقاطعت نظراتنا في نصف نظرة، أذكرُ وقتها كيف تجاهلتُ السّؤال الذي وجّههُ إليَّ رئيس أحد الأحزاب في القاعة لأرفعَ عينيّ نحوها لأوّل مرّة.. كم كنتُ متلهّفًا لرسم كامل تفاصيلها بكامل أدواتي التي منحني إياها من أبدعَ في تصويرها وبذَرَ في أثلامها قوارير الرّغبة الفارغة لتُملئها بالحُب والعِطر...

كانت الكوفيّة تُزيّنُ عُنقها الرّخاميّ العاري، تمايلتُ عندها كنسمةِ صيفٍ لأحرّكَ الهواء الغافي من ضجر ما تلقّفتهُ أذني من خطابات عارية من العواصف والعواطف، فهذه خطابات لا تشعلُ ما في داخلنا من براكين خامدة ولا

obeikandl.com

تستفزّ غضبنا لنثور كما ثار أشقّاؤنا في الدّول العربيّة الشّقيقة لاسترداد حقّهم الشّرعيّ في الحياة الحرّة الكريمة، حقّهم الذي قد سُلبَ عنوةً لا غير..

في تلكَ اللّحظة داهمني شعورٌ غريب وغامض، وأَخذتُ أسأل نفسي مُنذُ متى لم يستوقفَ نظري جمالٌ كهذا؟! كأنّنا تابعنا سقوطنا من شرفة الحُلم لنشهدَ نهايتنا ونستمتعَ بها، تقدّمنا بخطوات متساوية من بعضنا لنتصافح فكان الصّفاء أقرب إلى قلبي من كفّي، فحين أطبقت يدها في يدي تركت فيها دفء هذا الكون...

رُحتُ أتأمّلها وراحت عيناي الزّائغتان تتسكّعان في أزقّة تضاريسها وفي ملامح وجهها.. كانت لنا الرّغبة ذاتها في الحديث عن أيّ شيء ولكن ذاكرتنا المشطوبة كانت حجر عثرة في طريق البدء، أخذَ كلّ منا يتحايلُ على ارتباكهِ بطريقتهِ الخاصّة، لكنّ رجولتي ارتمت على الأريكة المجاورة لنا حينَ بدأت تتبلور وتتكوّر حبّات العرق على جبيني، فرماح أنوثتها اخترقت ذرع قلبي، وقلبي الذي ذاب قبلَ أن يُعلّق بسحرهِ كلّ التّفاصيل المنسيّة على جدار الحبّ والخبرة في أداء طقوسهِ التي لم تتوقّف يومًا إلا عند حدود أنوثتها... فَعُلّقتُ على صليب هزيمتي في لقائنا الأوّل، ورغم هذا شعرتُ بلذّةِ الانتصار لأنّ المنصب الوحيد الذي أتوق إليه هو قلبها الذي عشق تراب فلسطين... هذا الحبّ الذي زنرّ أنفاسنا وكلّل قلوبنا المتّسعة للنّور والظّلمة، جعلنا نتفانى في عشق الوطن وكان كمن يُثبت أقدامنا على هذه الأرض المقدّسة... وشكرًا لأولئكَ الذين يهرولون خلف المناصب العليا، وشكرًا لكلّ من يسعى جاهدًا ليتأقلم مع كلّ الرّياح للوصول إلى أهداف شخصيّة حزبيّة بعيدة عن المشروع

الفلسطينيّ.. شكرًا لأنّهم ببساطة استطاعوا ولو لمرّة واحدة أن يجمعوا بين قلبين. وشكرًا لكلّ رؤساء الأحزاب لأنّهم ببساطة أعادوا اليّ نبض الحياة وأعادوا إلى قلبي الثّائر بين ضلوعي خفقة الأمل بعد أن كانَ قد صمتَ من تخاذلهم الواضح....

obeikandl.com

obeikandl.com

لم يتبقَّ منّي إلّا حجرٌ في ذروة التَّجربة وجَسدٌ مُتعَبٌ قد نُشِرَ سرّه
وانْتشر في أرضكِ باحثًا عن أُغنية تُشبهكِ...

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

جنون

– كيفَ أنا؟!

– بخير.

– أراكَ تَحزِمُ أمتِعَتك.

– أجل أنا على سفر..

– إلى أين؟

– إلى هُناك..

– هناكَ؟! من ينتظرُكَ خَلفَ البحر؟

– هيَ

– هيَ هُناك؟

– ربّما...

– هلْ تَحمِل تذكرةً للهروب؟

– لا!

لا تذكرة ولا أملك شيئًا من النّقود، جيوبي خاوية ومحفظتي لا تحملُ في طيّاتها غير صورتها...

– عُدْ إذًا ولا تبرَح هذا المكان الذي يشبهك..

– إلى أين؟!

لا مكانَ هُنا، لا ذاكرة.

لا تستَغرِبْ فأنا أفتَقِدُ مذاق السّنين الماضية، سأُخبرُكَ بشيء ولكن إيّاك أن تُخبِرَ أحدًا بما ستسمعهُ الآن.

obeikandl.com

لقد سرقوا منّي ضحكتي الطّفوليّة وصوَري القديمة، لقد بعثروا ملامحي فوق الرّياح. مُنذُ فترة وأنا أبحث وحدي عن بصمات وجهي الذي أكادُ لا أعرفهُ

– اخلع قناعكَ إذًا.

– كما خلعوا التّراب الذي يحتوي أجدادك في جرّافاتهم المعدنيّة؟!

احتَفِظ بِصمتك ولا تروي روايتكَ الفاشلة لي، لقد سئمتُ سماعها، ها أنتَ ترويها للمرّة الثّالثة والسّتّين أمامي...

– كُنْ رَجُلًا واكسر جدار مرآتك....

– هل أصبحتُ عبئًا على سرير ليلك؟!

– أنتَ تُحاولُ عبثًا منعي من السّفر، دائمًا تتنبأ بنهايتي...

ألا يكفيكَ ما حَلَّ بِنا؟!

ها أنتَ تتلاعبُ بالكلماتِ كعادتك، دَعني وشأني، اتركني ولا تحاول إقناعي بالبقاء..

الطّائرة التي ستحملني وأحلامي في انتظاري، فرنسا هيَ وجهتي..

سأحلُّ ضيفًا عليها لفترة وجيزة كالضّيوف الحاليّين المحتلّينَ هنا، وبعدها سأرحلُ إلى صفاقس ومن هناك سيقلّني القطار إلى مدينة تونس...

لَم يَحدُث أن زرتها مرةً في بيتها، ستكون المرّة الأولى التي سنلتقي بها، ولا تسألني عنها فلن أُخبركَ عن اسمها...

دائمًا تحاولُ استدراجي في الحديث حتى أبوح لكَ بما في صدري من أسرار.

لا يبدو أن لهذا اليوم نهاية!

خُذني إلى هُناك لأدركَ نفسي قبل نهايتي... هذا البار أتعبني، تهت أمام مرآتهِ، الأغنيات هيَ الأغنيات تعيدُ ذاتها على مسامعي نكايةً بالّشعر..

لا أنتَ هنا ولا أنا..

– هل سَتتركُ خلفكَ روحها المتدثّرة بكلماتكَ الإباحيّة؟! أم سَتزُجّ شَعرَ خوفها لتنتَصِرَ عليكْ؟!

وتلكَ التي تنتظرُ عودتكَ في بيتٍ يَعُجُّ بالجميلات اللّواتي يتَربّصنَ بكَ في وِحدَتِك ليُمارِسنَ الحُب معكَ خلسةً؟ عُدْ إلى رُشدِك، ها هيَ تُمطرُ خلفَ الزجاج...

– اتركني لأبتلَّ فأنا أَعشقُ طقوسَ الابتلال...

هنا ينقَضُّ عليَّ رذاذ المطر كما تَنقَضُّ هاتان الشّفتان على عزلةِ شفتيها وتكوّر تُفّاحِها المصقول بماء البكاء خصّيصًا لأجلي...

– لعلّكَ تُفكّرُ في الزّواج..

– لا لن أتزوج.

هل علينا أن نتزوّج من يُحبنا؟!

كم سوسنة يحتاجُ ليلكَ المثقَل برائحة النبيذ؟!

– يحتاجُ ممرًّا جَبليًّا وذاكرة مُتوارثة وزنزانة أُترُكُ بها مع فكرتي لنموتَ هناك، فلا يبقى منَّا سوى اثنين على قيدِ الحياة؛ أنا وتلكَ التي ما زالت مُغلِقة على أسرارها.

– ما هذا الجنون؟!

كُلّ شيء فيهِ تفاصيلكَ لا يخاطبُ ملامح المرآة، حتى العاطفة التي تعتريكَ تَشتَبِكُ بذاكرةٍ مشطوبة. والنّبيذ الذي يفقدُكَ توازنك لا يفارقُ باب ثغرك..

– القلمُ هو حنجرتي الوحيدة، والرّصيفُ هنا سيّد المكان، والبحر أمامكَ ورقة منزوعة السّلاح، فالموج لا يدغدغ علم دولتي.. وها هوَ اللّيلُ جسدٌ

يضيء الشّوق ليُنيرَ الطّريق لضحيّة أخرى ستسقُطُ عمّا قريب..
كُن مثلي واشْتَهِ موتكَ على طرقاتها لتُخرجَ ما فيكَ من تَعب...
– دَعكَ منّي، لا أُريدكَ أن تَكتُبني نيابةً عنّي، سأتركُكَ هنا أمام مرآتك لأعودَ وحيدًا إلى شاطئ البحر، فهوَ فرشتي الوحيدة التي لم تطالها أجنحة الفراشات...
سَتموتُ وحيدًا على لوحةٍ أبديّةٍ أُتقِنَتْ رسمُها يَدُ الاحتلال، عِندَها سَتَبحثُ حبيبتكَ في صَدرها عن بقاياك ولعلها تستَدرِجُ ذاتها إلى عاطفة غامضة مُكلّلة بابتسامتكَ الخفيفة، سَتَجِدُ هناكَ رغبَتكَ في احتضانِها، سَتُشبِعُ ذاتها من دفئكَ الذي لا ينتهي ...

السّاعة الآن دائريّة تُحيطُ بنا كسياجِ الذّاكرة، والوقتُ الزّائل يَتَربّصُ كجريدة لا تحملُ في طيّاتها غيرَ همومنا اليَوميّة، وقصيدة كُتبت في جمال حيفا، واسمي الذي يكادُ يختفي فيها وسط أفواج المارّة الذين يملأونَ المقاهي والبارات من حولي.. الآن سأغلِقُ البابَ خلفي بحذر كي لا تستيقظُ صديقتي النّائمة...
أيقَظتُ حواسي النّائمة كي لا يغتالني القدر الذي يمتصّ سعادتي بشراهة التّراب الجاف، وخرجتُ من غُرفتها كما يخرجُ المسمار من تابوت الرّتابة، فأنا أخافُ أن أنتهي منها قبلَ أن تُنهي هيَ حفلتها الغنائيّة، فَكنتُ قد وعدتها بأن لا أتركها لصقور الزّمن تنهشها، لَن أحطّمَ حُلمها الأبيض...
كانت ولا زالت تَحلمُ بالشّهرة والمجد.. أمّا أنا، فأحلم بالهدوء والاستقرار الذّاتيّ..
الشّهرة بالنسبة لي تعني القمّة، والقمّة تعني الحدود، وأنا أكرهُ الحدود والحواجز التي تغتالنا يوميًّا في هذه البلاد...

انتهت روايتي العارية بعدَ أن اغتصبتُ رقصة الحياة في ذهني، ورفعتُ علم نزوتي المسافرة في مغاور الحلم المطعون بسكّين اللّاعودة من غربة الشيطان، وبعد إرجاء سفري إلى هناك في هذه اللّحظة الرّاهنة، فبعدَ انتهاء قارورة الجنون التي امتلأت بفراغ النّبيذ من زجاجتي، تحقّقت المعجزة واستيقظَ الجسد الغافي فوق عمليّة اللّقاء، وعاد المثّقف ليقارع الوباء الفكريّ خارج حدود الفهم كي لا ينجح القارئ في الدّخول إلى النّسيج الدّاخليّ لثلوج النّسيان التي تحيطُ بزهرة اللّوتس المخبّأة عنوةً في المنطقة الشّرقيّة من ذهن المرآة...

obeikandl.com

عليكَ اللّعنة يا صاحبي
كانت ولا زالت
تلتقطُكَ بلمقاط شَعر
وكأنك ابن حاجبها المرتّبْ!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

على باب القيامة

جَلَستُ على أرضِ الغرفة خلف باب الحمّام كالمتأرجح على حبال الحياة... وأنا أفكِّرُ بعمق وأتأمّل في تلك العلاقة التي نشأت بيننا بسرعة وازدادت قوّة بشكل غير عاديّ، حاولتُ دفعَ الباب لكنّه كان مُقفلًا من الدّاخل، حاوَلتُ مرّةً أخرى دون جدوى، تراجعتُ إلى الخلف وجلستُ على الأرض وأنا مُرتَبِك ومُتحَيّر في فهم الفتاة التي خَلَبت لُبّي واستولت على مشاعري بهذا الشّكل..

للحظات شَعرتُ كأنّني مُخدّر أسيرُ منزلِقًا على سطحٍ زجاجيّ لزج، خارت مُقاومتي وذابت مُعارضتي واستسلمتُ للأمر..

خَرجَت من الحمّام، وقد ارتدت ثوبًا خفيفًا لونهُ أزرق بلون السّماء الصّافية أو ماء البحر الهادئ.. بدت مبهرة رائعة كعادتها، لكنّ ذهني لم يكن مستعدًّا لأيّ مشاعر رومانسيّة ، كان مشتّتًا في أمور الحياة القاسية التي تأخذ في طيّاتها كلّ الجمال دفعة واحدة، دون أن تترك لنا ما يقينا من لسعة البرد القارص وتقرر الرحيل؛ ففي الرّحيل قوّة..

تأخذُ ذكرياتنا وعشقنا للماضي البعيد، وحنيننا إلى طفولتنا.. ترحل وتتركنا رجالًا أقوياء.. ضعفاء بلا قلوب، تقلّم أظافر ضمائرنا و تتركنا خاليين من المنطق، تتركنا رجالًا أو جبالا شامخين على سفح الهاوية، تُثبّتنا كتماثيل في متحف اللّوفر..

حياتنا عبء على سرير اللّيل " في الليل حياة وموت"، حياتنا تشوّشُ دقّات قلوبنا وانتظام أنفاسنا...

خطايانا تتراكم لتصبح على شكل جبل قمّتهُ قابلة للعلوّ، قمّة قابلة لاستيعاب المزيد من الهفوات والأخطاء...

يا أصدقائي، كلّما اتّسعت سمائي ضاقَ صدري...

أصبحتُ كمن يدّخِرُ أنفاسهُ ويخزّنها في خوابي الوقت الزّائل، كانت ولا زالت حياتي في متناول قبر رخاميّ مُزخرف تحيطهُ أكاليل الزّهور وبعض النّباتات الخضراء التي تُسخّرُ قدراتها لِتبعث بعبقها حياة خالية من الكذب فوق ساحة من الموت الواقعيّ..

هديرٌ يطردني من سرير الواقع المؤلم، ليزجّني إلى منفاي الأخير؛ ففي المنفى راحة..

أُدرّب قلبي على الاتّساع، وهنا تكمنُ معاناتي، فكلّما اتّسعَ قلبي ضاقت سمائي وحاصرتني بإطارِها المعدنيّ الصلب.

ملاك الموت يلقي عليَّ التّحيّة عبر النّافذة لِيؤثّث لي لوحة الحياة، فيكمل نقصانها فأرسمها كما أراد لها القدر أن ترسم على يدِ رسّامٍ لا يتقنُ رسم قوس قزح!

أعتذر منكم لقد حان دوري لأستحمّ؛ فالحمّام الآن ينتظرني مستعدًّا للقائي، سأترك رسم اللّوحة التي لم أكملها حتى الآن، والفتاة التي تتلوّى على سرير الغياب علّني أجد طفولتي التي أضعتها في إحدى فقاعات الصّابون المتطايرة في فضاء الحمام ....

obeikandl.com

كلّما اعتَليتُها
تفَتّحَ الكرزُ ليلاً
وفاحَ منها
صهيلُ أنثى صامت!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

في الانتظار

هكذا خَففَّت عن نَفسها عذاب الانتظار...
أحلامها لم تكُن عاديّة، لم تُخطّط لترتيب ليلها كما يفعلن الفتيات الأخريات، كُلّ ما في الأمر أنّها كانت تستحمُّ قبل نومها ولكن على طريقتها الخاصّة، حينها كانت تَجِدُ في اللّيل ملاذها، فهوَ الوحيد القادر أن يجمعها بي.

فتاةٌ شرقيّة من إحدى القرى المحاذية لقريتي، جاءت حاملةً ربيع عمرها بين عينيها، كانت تتحسّسُ أطراف جسدها بين وهلة وأخرى بحركة تلقائيّة كأنّها تتفحّص موضع الألم، حينها اختارت أقصر الثّياب وأثمنها رغم برودة هذا الطّقس الخريفيّ وضعف وضعها الماديّ، فعلت هذا عمدًا لتعيد إليّ شيئًا ما قد ضاع مني.. جاءت تتعثّرُ بجلباب غيابي الطّويل الّذي أرهقها، لا شيء ينقصها.. كأنّها تستفزّ الكمال ليستنفر بقولهِ لها "أكمليني لأكتمل"، وينسى أنّ الكمال وحدهُ للخالق..
كان لقاؤنا الأوّل بعيدًا عن عيون البشر، كنّا وحدنا أنا وهيَ، وكان مَعنا كلّ الصّمت الذي أدركَ ألسنتنا وخيّم فوق سمائنا حين التقت أعيننا، حتّى تلكَ الهيبة التي أحملها أخرَسَتها براءتها وجمالها المتألّق.. ملامحها حزينة كوجوه الفتيات اللّواتي إلتَقيتُ بِهُنّ قبلها، ولا أعرف حتى الآن ما اسم هذا الوباء

المستشري في هذه الأيّام، ولكنّه الحزن حين يمتزج بالبؤس.. كانت تحملُ في طيّاتها الكثير الكثير من الألم، كأنّ لا شيءِ في هذا الكون يعجبها. جلسنا لنتحدّث بعد أن حضنتني لتُشبعَ ذاتها بعد الغياب، حتى كادت أن تقطع عنّي النَّفَس، لكنّنا لم نتّفق قبلَ جلوسنا من مِنّا سيبدأ الحديث...

لَفتَ نظري البؤس الذي تُخبّئه تحت مكياجها، مع أنّها لم تكن بحاجة لهذه الطّبقة الخفيّة الخفيفة من المستحضر الذي تضعهُ، لكنّها أرادت أن تُعلّمني أنّها تُتقنُ ذلك الفنّ الذي تتقنه النّساء...

بَدأت بالسّؤال: أأنتَ هوَ؟!

حينها لم أستوعب سؤالها وبدوتُ مُحرجًا أمام نظراتها..عادت الكرّة، وسألت: أأنتَ هوَ؟!

ولكي لا تسيطر على حواسي بجرأتها أجبتها دون تفكير، قُلتُ نعم، أنا هو وربّما يكون أحدًا غيري لا أعرفه!

قالت: حدّد إجابتك.

قُلت: صدّقيني إن كُنتُ أنا هوَ فقد أضَعتِني لأني شَربتُ هذا الصبّاح فنجان قهوة نخبَ ذكرايّ.

قالت: هوَ أنتَ، جنونك الذي أغرقني، قلبُكَ الذي لا يتّسِعُ إلّا للبياض وإن كان باهتًا اليوم، ملامحُكَ التي جرفتني منذ تحَسّستُ صورتكَ المتربّعة على غلاف كتابٍ لا يفارقني.. هوَ أنت! لا تحاول أن تخدعني ولا تُضف نكهة حزنٍ إضافيّة إلى قلبي الذي يشتاقُ إليكَ منذ فترة، فأعماقي لم تَعُد تحتمل البُعد القاتل...

كان شيء ما يسيطرُ على يقيني طوال حديثها عنّي، أنا لا أعرفها، لم ألتقِ بها قبلَ اليوم، ما كان يَقتلني ويقلقني أيضًا في حديثها دقّة التّفاصيل التي

لا يعرفها أحد سوى من عايشني فعلًا، حتى أنها بدأت بالحديث عن عدد الشّامات التّائهة في بحر جسدي، والتي كُنت أخفيها تحت الثّياب..

كأنّني أعرفها منذ عشرين عامًا، أو تعرفني منذ عشرين عامًا، لا يختلفُ الأمر هنا كلانا يعرفُ الآخر منذ أكثر من عشرين عامًا، هكذاأوحت إليّ بحديثها الذي لم ينقطع عن سرد كلّ أسراري التي لا يعرفها غيري...

كان حديثها يخيفني جدًّا خصوصًا عندما سألتني عن الألم الذي لا يفارقني في أسفل ظهري، والذي اكتسبتهُ حديثًا نتيجة العمل الشّاقّ الذي أتعبني في الفترة الأخيرة، كأنّها أرادت بحديثها هذا أن تؤكّد أنّنا روحين في جسدٍ واحد. تَحَدّثْتُ عن غيابي عنها في الفترة الأخيرة، كأنّني عايشتُ ماضيها، أخذتُ أبحثُ في ذاكرتي عنها وأنخُرَ تلك الصّخرة التّائهة من تاريخي، أخذتُ أفتّشُ في ثيابي وأوراقي عن فتاة تشبهها عرفتها يومًا ما وأغلقتُ عليها أبواب الكتاب، لكنّ ذاكرتي لم تساعدني لأنّها ببساطة لم تكُن تستحوذُ في طياتها تلكَ الفتاة، ولم تُزرع في أثلامها بذرةً تشبهها.. كيف للذّاكرة أن لا تتشبّثَ في هذا الجمال الإلهيّ الذي كان يجتاحها لو مرّ فعلًا بها من قبل؟!

أقِفُ مَذهولًا أمامها وهيَ تُحاول إقناعي بشتّى الوسائل أنّي هو من كان يزورها يوميًّا حين كان يرخي اللّيل ستائره ويلتفّ على ضوء النّهار مُقتنعًا أنّ الوقت وقتهُ دون أن يغالطَ نفسهُ، كأنّهُ استولى على فكرة دوران الأرض التي تحملنا مُرغمة...

كانت تتحسّسُ وجهي بأناملها وتلقي بنظراتها الثّاقبة على المساحة الشّاسعة التي لم تعد مُلكي منذ حضورها، والتي قد فقدتُ السّيطرة عليها وهي تسألُ وتتساءل لماذا تركتني؟!

كانت ببساطة تُتمتم في ذاتها لتسأل الغيب عن اليوم الذي سأعود فيه،

كانت واثقة من عودتي، كانت تُقنعُ نفسها طوال غيابي أنّ لا بُدّ من أن يتغيّر الحال..

هكذا خفّفت عن نفسها عذاب الانتظار، كانت تُضاجع الغياب حتى أصبحت حُبلى بالعناصر والطّاقة، فأنجبت الصّبر وقوّة التّحمّل، كانت تستجيبُ صاغرة لاشتياقٍ في عيون ذئب اللّيل الذي لا يريحُ آلامها، فيرهقها الأرق وعدم النوم. هكذا قرأت أسرار رموشها حين تمدّدتُ بكامل ضعفي على بلاط جفنها العاجيّ، فقوّتي تركتُها جانبًا لتحرس وجودنا وملامح وجوهنا التي بعثرتها قوّة الشّوق.

كان لا بُدَّ من أن أقتحم عالمها الانفراديّ أو عالمها الخياليّ إذا أردتُ أن أدقق كان لا بُدَّ من أن أخرجها من تلكَ الحالة التي تعتريها، لكن من يخرجني أنا من حالتي؟! فالخوف كان يتملّكني ويسيطرُ على قلبي..

كُنتُ حذرًا جدًّا كي لا أكسر شيئًا ما بداخلها، كنت حذرًا من أن أشوّه لها حُلمها، فما أجمل فكرة اللّقاء الأوّل التي كانت كفكرة أوراق النّعناع في كأس من الشّاي...

لا أحدّثكم الآن عن فتاة خرافيّة لأنّي مجبر على كتابة قصّتها، فتخليص الورقِ من الحبر ليس سهلًا كما يتصوّر الفرد منكم، ثمَّة ما كان يجبّ أن تَذْكرهُ وهو الجزاء الإلهيّ.

أقرّت لي أنّها هي من أبعدتني عنها حينها، أمّا أنا فكنت أنصتُ لهمسها لعلّي أصنعُ من كلماتها غيمة تمطر لي ببعض الفهم ولكن دون جدوى.

تحدّثَتْ عن القدر كثيرًا وكأنّها بحديثها تريدُ أن تُلبسهُ عباءة الجُرم الذي قد أقترفهُ وإن كان عن دون قصد. كانت مقتنعة أنّه هو من ساعدها على غيابي، أرادت أن تنتقم منهُ ولو عن طريق الهمس، قالت: هوَ وحدهُ من

تجرّأ وكسر طقوسها النّرجسيّة، وأنّها بغبائها احتضنته، كانت تدلي أمامي باعترافاتها كأنّها أرادت أن تتعرّى من ذلك الحِمل الذي كان يجثم فوق صدرها. كانت أضعف من أن تحاول منع القدر من إبعادي، كانت تتحدّث كأنّ داخلها طائفة من النّساء اللّواتي يعشقن التّمرّد. نعم، قد ترى على وجهها الوسيم ذلًّا ما، لكنّه في إطار من الصّبر وتحت ظلّ رجاء كبير فيه قوّة مبهمة وعظيمة. كانت تدرك الأبصار حين تقع عليها ورغم كلّ التّناقضات التي تعتلي خشبة ملامحها فوق مسرح الحياة لم يكن في وجهها بادرة واحدة من بوادر الاستسلام ...

سَجدتُ تحت ظلّ حديثها وكأنني كنتُ السّبب الرّئيسيّ في انقطاع الماء عن قريتها، هنا كانت تكمن مأساتها؛ فالفتاة التي أحبّتني كانت تمارس طقوسها معي دون أن تخبرني كأنّ الحلم يتيح لها ما لا يتيح لغيرها من بني البشر، شرطَ أن تستحمّ بالماء قبل خلودها للنّوم كما قالت، على طريقتها الخاصّة، ولم تبح لي بسرّ هذه الطّريقة التي تحملها في جعبتها، رغم الفضول الذي غمرني ولكنّها أبَتْ أن تفشي سرّها كي لا تتمكّن إحداهنّ من أن تسبقها فتختلي بي في حملها وتنام هي خاوية اليدين فارغة منّي!

ذَرفتُ دموعي على قدميها المكشوفتين للنّظر، لعلّها تستحمُّ مرّةً أخرى بعدَ ما كان من حديثها عن الأحلام التي كانت تجتاحها ليلًا. كانت أحلامها إباحيّة لأبعد الحدود؛ كان يُخيّل إليّ أنّني أشاهدُ فيلمًا رومانسيًّا على شاشة العالم النّرجسية، وربّما مُحرَج أنا من أن أكتب لكم ما قالتهُ بالتّحديد، أو أنّني أريد أن أحتفظ بهذه النّشوة لنفسي فقط، فلم أخبركم من قبل أنّ أنانيّتي قد خُلقت معي بالفطرة، وما يحيّرني فعلًا هو أنّها لم تخجل وهي تتحدّث عن نزواتنا اللّيليّة..

وكيف تخجلُ منّي وأنا الوحيد على حدّ قولها من مات فوق مذبح سريرها لِيُحيي نبتة الجنس فيها وشهوة كانت قد دفنتها في غياهب العدم قبل أن ترى صورتي؟!

ومع هذا كانت بنظري كالشّريفة التي ركضت بمحاذاتي فوق مساحات العشب الأخضر ولم يستطع رشّاش الماء القريب منها أن يبلّل أطراف ثوبها. نَظرتُ إلى عينيها وأشرتُ بأصابعي إلى عربات القطار التي كانت تهتزّ لأنّ الدّمع في عينيها قد أغرق سكّة الحديد قبل قيام القطار..

تَحرَّكَتْ.. كان لا بدّ من أن تتركني أقارع حجارة المكان المتناثرة على أرضيّة ذهني، تركتني وحيدًا، ليس لأنّها تريد هذا ولكن الوقت أدركها ولأنّها كما ذكرتُ سابقًا تنتمي لعائلة شرقيّة ولا يمكنها أن تتأخر عن سجنها ومجتمعها الّذي يكبتُ أنفاسها ويقطع عنها الماء قصدًا ليقطع عنها أحلامها!

تَحرَّكَت ككلّ شيء حولي؛ هي، ظلّها، الشّمس، الأنغام التي انبثقت من فضاء حنجرتها، الحُبّ، الفرح والحزن.. لكنّها قالت بعلو صوتها قبل رحيلها وكأنّها أرادت أن تنبّهني بنبرات صوتها: جئتُ إلى هنا لأخبركَ أنّهم قد أصلحوا ماسورة الماء، وأنّ الماء قد عادت، عُدْ بعودتها..

جئتُ لأخبركَ أنّي سأستحمُّ هذه اللّيلة فلا تتأخّر عنّي، أنا أنتظرُكَ هناك في باحة السّرير تحت غيمة الحُلم...

أحسستُ عند رحيلها أنّ ركنًا كبيرًا في قلبي قد انهار وسلمتُ أمري للقدر وإن كان خارج حساباتها في تلك اللّيلة وانصرفت..

مُصدّقًا أو غير مُصدق..

obeikandl.com

جسدي مقامٌ
وروحي زهرة في الأرض..
أرجوكم لا تعبثوا في ما تبقّى منّي!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

رُدّها إن استطعت

خسارتنا الكامنة في خزانة الروح ستبقى مُخبّأة هناك حتّى لا تَحسدها بعض العيون المتطفّلة.. قالها كي لا يتخطّى عقبَة الرّغبَة في كسر التّقاليد الذّاتيّة الذّائبة في حقيقة اللّاشيء..

بالرّغم من ضعفه، كسرَ كاتبنا القواعد المتأرجحة بين الأمل والألم، كافح ضدَّ السّيطرة الاستعمارية بتعبئتهِ للفراغ، فهو من فَجّر في أوراقهِ ينابيع القوّة ليغيّر مفاهيم الفكر في التّطلع إلى التّحرّر والاستقلال ...

كسر كاتبنا القواعد التي يصعب كسرها!

كانت كتاباتهُ عفويّة، أحبَّ بصدق وجَسَّدَ أحاسيسه كاملة ولم يبخل في الوصف، فقد حرّر حالة الفوران العاطفيّ بهزّاتهِ الانفعاليّة ولم يكترث لعناصر التّلميح!

رفعَ كاتبنا الحجاب عن قلبه، ملأ عينيّ ونَفَسي وكتَب دون قصد أحاسيسي كلّها ...

كانت حروفهُ كالخيط الذي يربط عناصر التّمرّد برائحة الإباحة المِسكيّة، تارةً قرأتهُ ثائرًا، وتارةً أخرى هائمًا، كان مزيجًا من تلكَ الثّنائيّة..

عليكَ اللعنة أيّها الوحي، لطالما فضحتَ أمري وكشفت سرّي..

إلى متى ستسكنني؟! هل أصبحت شراييني سجنًا لكَ أيّها الأسير؟!

هل ستنضمّ إلى أبطالنا الأسرى؟ هل ستخوض مثلهم معركة الأمعاء

الخاوية؟!

إلى متى يا أنا سَتَظلُّ تتعامل مع هذه العملة ذات الوجهين؛ عشق النّساء والكفاح من أجل الحرية والبقاء؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

دعيه يمتّصُ شيئًا

من رحيقكِ.

لِيَطوي حِبرَهُ

في سرابِ المسافر...

obeikandl.com

رُبمّا كان وجودها ...

لم تَعُدْ ترتدي قميص نومها الورديّ، قالها بِحرقَة وأسدلَ ستائر جفونه اللّيليّة؛ فالسّواد كان يكحّل لفظة الماء المالح في حقل وجهه..

بعدَ أن جَذبَ الغطاء الذي أعدّهُ للنّوم خصّيصًا ولفّه حول صدره لِيروّض خيولهُ المندفعة، ضَمَّ ساقيهِ وتكوَّرَ حولَ نفسهِ كي لا يفيضَ عن جانبيّ السّرير، قالَ لِيَ اكتبْ، اكتب قبلَ أن ينطفئ الضّوء.. نظرتُ إلى الأعلى كان ضوء المصباح خافتًا بعض الشّيء لهذا لم أُعر انتباهي لجملتهِ العابرة. كان يمشي حولَ هواجسهِ وكنتُ أراقبُ عن كثب رجفة الرّكبتين، أختارُ حمل الكلام ليوقظَ الموت النّائم في روح حبيبته، حبيبته التي اختارت هي أيضًا أرض الغياب وهيّأت له هناكَ خيمةً وغيمةً ليتبعها، فلا يمشي وحيدًا حين تُصبحُ رمالهُ بيضاء.. مَضَت دون أن تُخفي عليهِ سِرّ الجاذبيّة فَتتبّع أثرَ خطواتها كي لا يُحمّلها فوق طاقتها..

لم يستطع صديقي العجوز إلّا أن يستسلم لي ويقبل أن أفتّش في حقائب ذاكرتهِ، بعدَ أن خارت قواه عن حمل الحقائق الجميلة والحقائب الثقيلة. وعلى ما أذكر أنّ صديقي عاش حياة سعيدة، كان يكبرني بأربعين فكرة صوتيّة وصدى ولم يكن من أولائك الذين يتقنون فنّ الخسارة..

كان قلبهُ ينبضُ بشدّة تاركًا خلف دربكتهِ صمتًا كثيفًا، وهذا أخافني أحيانًا، كان يعصرُ صدرهُ أمامي لينبلجَ نور جلدهُ خارقًا قميصهُ الرّثّ والعرق يتساقط من حاجبيهِ، كأنّ حاجبيهِ أعلى من اللّيل..

obeikandi.com

كان ضعيفًا عاجزًا منكسرًا وهو يصارع الوقت، بدا كأنهُ يفضّل الموت بسكتة قلبيّة عن أن يعاني ما يعانيه الآن من ألم.

رغم حيرتهِ التي انصَبَّ فيها ما بين كتمان سرّه وجَسّ حنينهِ الأبديّ في ورقة قد تدافع عن حبّه لحبيبته يومًا، إلّا أنّهُ أُعجب أن أكون أنا آخرهُ، فأنا كنت أقرب من إستقرار حقيقتهِ إليه.

بعد أن جمعتُ شتات أفكاري تحدثَ إليّ بصوت ضعيف وقال: اكتبني همسًا. ببساطة أراد أن أكون موتهُ المقتنى.

قال: حاصرني بسلسلة إبداع ثقيلة لا تُرفَعْ، وغرسَ في أحشاء مُخيّلتي قلمًا متمرّدًا لا يخضع ...

كيف أنفّذ وصيّتهُ الأخيرة ؟!

قتلني صاحبي قبل موتهِ ، أسقطني الرجل العجوز على الأرض حتى تناثرتُ كشظايا زجاج النوافذ المحطّمة ملء المكان ...

قلت متلعثمًا: أن تخلّد حُبّكَ على ورقٍ سيهترئ يومًا لا يعني أنّكَ ستعيد زوجتكَ إليك، هذا لا يعني أنكَ ستحيي الموتى، أنا لستُ المسيح!

رغم طلبهِ هذا، ملأ قلبهُ شعور الخوف والتّوتّر حين أشهرتُ قلمي والورقة التي ستمسح كلّ ما في ذاكرتهِ من شوقٍ وفرح.. كان يعلم أنّ الورقة التي ستجرّدهُ من أسراره بعد قليل هي ذاتها ستمسح العرق المتساقط على وجهه وستجرّدهُ من مخاوفهِ وستعيد بنقاء سريرتها سرّ حبيبتهِ.

ستعيد عينيها الجميلتان وصوت دقات قلبها، بياض الورقة الذي سيتّسخ بحبر قلمي الذي سَخّرَ نفسهُ ليستخرج من بئر ذاكرتهِ كل ما تحتويه من جمال ليضعها بين يديهِ..

قُلت: تَفَضّل بعد أن جلسنا متقاربين.

قال: جاءتني بالحُلُم ولم يَعُد شعرها الأسود طويلًا كما كان..
تنهّدتُ وبدت ابتسامة واهية تزحفُ إلى أركان فمي، لعلّها زحفت لتحملني على جناح طائر يحملُ اسمين مُختلفيّن.

رَفعتُ نفسي لأضع السّماء على الأرض، قُلت في سرّي لعلّ خيالي يمزج بين شهوة أمسهِ وحنّائها الأبديّ..
قال لي بعض الكلام وذهب، انطفأ نور مصباحهِ، ذَهَبَ كما تذهب الذّكريات أحيانًا في رحلة نحو السّماء، رحل ولم ينتظر حتى أُخرِج الغَصَّة العالقة في شبّاك حلقي.. ذهب ليزداد الألم الذي أصاب قلبي، ذهبَ دون أن يتذكّر كلّ الأفكار التي ملأت ذهنهُ والورقة التي أحملها..
ماتَ وترك لي رائحة عطرها الممزوجة بأنفاسهِ الشّاردة وخيبة تملأ الجوّ.

تقولُ هيَ:
لا مُساومة في الحرب
المرأة كالأغنية تتّكئ على لُعبتكَ العاطفيّة!
أما أنا فقلتُ لها:
للبحر طريقٌ آخر في الورق
غير طريق قلبي
انعطفي يسارًا -قُلت لها-
كحبّةِ فُستق مالحة قُضِمَتْ
خارج النّص!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

سكاكر مالحة

انحسر الغطاء عنّي فجأة في اللّيل، حَرّكتُ أوصالي فقط لأتأكّدَ أنّ الحياة لا زالت تنخر فيها كما تنخرُ الحشرة جذع التّينة التي تتّكئ على تراب كان مُلكها يومًا.

تبيّن لي ولكُلّ من مَدّ أناملهُ ليدفئها تحت الغطاء أنّ كلّ الأوجاع التي أحِسُّ بها كانت قد فرضت نفسها عليّ، كما فعل أحفاد هارون وقاهر فرعون..

انظروا إلى شجر التّين والتّوت والزّيتون.

لعلّها حقيقة مُزعجة ولكنّها أيضًا جزءًا من عالم الأحلام؛ لأنّي ببساطة نائم أو ميت لبرهة قصيرة من الزمن.

هل يمكن أن يكون رجل البريد قد عاد ثانية؟!

لا أدري.. ربّما أهذي..

نار لا تنطفئ خلف الباب، يدخل الوقت في الوقت، تخرج الحرارة، يبقى المناخ كالمزاج حياديًّا وانسيابيًّا

كم رجلاً في الخارج؟

أسأل نفسي، أختلسُ النّظر من شقوق الحائط، السّاحة مليئة بأمّي فقط أو لا أحد.. هو السّراب.. هو الضّباب.. هو التّراب.. لا أحد.

لعلّني أنا هنا، وهناك أيضًا يمكنني أن أجدني نائمًا على حين غفلة منّي ومن الجميع.

أجل أنا لا أستغرب.. أنا بكل ما ينقصني أتقمصُّ لون التّائه بين الماء وعَقدَة

obeikandi.com

الهاء.

فُتِحَ الباب، صورة الرّوح المنعكسة في المرآة، فارغة هي بعض الشّيء وباردة أيضًا.. شكل أبي بدا سيئًا، لا يَقلُ سوءًا عَمّا أشعر بهِ أنا الآن.

ومن حُسن حظّي كان الالتباس في التّشابه يزوّدُ الرّوح بحبوب منع الوجع، فلو كنتَ مكاني أيّها القارئ لرأيت بأمّ عينك صورة العالم المتداخل في مسار اللّذة كيف يغير وجوه الحاضرين المشرئبّة، ومع أنّي على يقين أنّك لم ولن تفهم قصدي الّذي أرمي إليه في كتابة هذا النّصّ ولكن مُجبرٌ أخاكَ لا بطل لعلّ هذا النّصّ يزيل بضعًا من آلامي المتوارثة..

مع أن الشتاء كان قد رحل إلا أن برودة العواطف ما زالت تفرض سيطرتها في المكان، حبرنا فاسد أيها السّادة، تمامًا كثوبنا الوطنيّ المهترئ، فكيف نكتبُ فكرة المشهد؟ وكيف نَزُجَّ بحنجرتنا الوحيدة في أغنية لا تناسب مقام السّاعة..

والأعجب أنّهما كانا كما الفضاء المفتوح لخطوتين يائستين كانتا قد مَرّتا من هُنا، وأيضًا كانا يفكّران في نفس الاتّجاه تمامًا، والغريب في الأمر أنّهما كانا يحملان لنا أيضًا نفس الهدايا؛ كعك الصّمت السّائد، حلوى انقطاع الحوار، والقليل القليل من الغيرة، والكثير الكثير من السّكاكر المالحة.

obeikandl.com

يتَنقلنَ في رُباعيّات الحُلُم وهُنَّ مُبلّلاتٍ بالخطيئة!

وحدها شمسكِ أطلّتْ على روحي لتمارس طقوسها الرّوحانيّة

في سرير الحديقة..

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

obeikandl.com

صُرفة عازلة

كأنَّ الأرض تستعطفها وتنظرُ بعين شهوتها إلى قدميها العارِيَتين وهي تُحلِّقُ بين أحضان السّماءِ المشحونة بالرّجال، فالقمر هناكَ سراج ضعيف تغلبهُ سهام الظّلمة السّوداء.

هَبّتْ على وجهها نسمات الصّمت فأصبحت كإصبع عازف ثمل لا تقوى على الحراك، عندها تَغيّرت نظراتها وبدت ملامح الخوف واضحة على ملامحها كتأوّهاتِ الهواء بين الأشجار...

أعيدي لي جسدي –قال لها بكلماتِهِ المتناسخة– أعيدي لي جَسدي لأُخرجَ النَّزواتِ من شقوق الصّخر لعلّ الغريب يغادر مُسرعًا، فلَستُ أرى لي رفيقًا غير قلبكِ الحَجَريّ.

باتَ قَلَمي حيّا وميّتا، أصبح فجأة كالأفعى لا يستقرُّ على حال. بدأتُ أبحثُ عن سلامتي واستقامة الوزن ما بين الحروف المتناثرة هنا وهناك، أُلامِسُ نزوةَ الصّمتِ في جَسدِ الحداثة لعلّي أخرج من هذه الواقعة بقصّة تشفي غليل قلمي وتداوي جرح هذه الحادثة...

تقولُ هيَ: لا مساومةَ في الحربِ، المرأةُ كالأُغنيّةِ تتّكئُ على لُعبتِكَ العاطفيّة. ولَعَلّها تَقِفُ مُعلِنَةً تَوبتَها في غُرفةِ العَمليّات لِيُصبحُ عِندَها الوُضوح عورةً.

أما أنّا فقُلتُ لها: أنتِ الأقلّيّة الأغلَبيّة في سريرِ المعرَكةِ، وللبحرِ طريقٌ آخر في الورقِ غَيرّ طريقِ قلبي. انعَطِفي يَسارًا –قُلت لها– كَحبّةِ فُستُقٍ مالحةٍ قُضِمَتْ

خارجَ النّصّ.
فَهُنا سَيَقتُلُ القتيلُ قاتِلَهُ غير مُكترثٍ بسلامةِ اللُّغةِ...
ها قد أصبح لليلى أنبياء جُدد في زمنٍ تقلّ فيه المعجزات، في زمن زاهد لا يعشق تضاريس الأرض وأحاسيس اللّغة.

تَحسّستُ جيوبها مثلما يتحسّسُ رفيق دربها أعضاءها في أوّل النّهار وآخر اللّيل حين يتوقّف عقرب السّاعة حابسًا أنفاسهُ كي لا يمرّ الوقت فقوافل الحُبّ حينها تكون ما زالت محمّلة بالحنان والشّوق، كأنّها طائرات لعدوّ أعمى وشرس، تُلقي عليكَ قذائف الفرح الملتهب لتتفجّر الحياة فيك ألوانًا بعدما كانت شاحبة وسوداء؛ لأنّها ببساطة تنشر فوقك سحب محمّلة بكلّ أطياف الموت وإن كان هذا الموت مؤجّلًا إلى حين، فالمطر سيلتف حولك ليحتضنك كما يحتضن البحر الذي نعرفهُ جيّدًاهذا الأفق العاري من الحرّيّة ومواكب الأعياد...
تبحثُ عن روح منطفئة لتعيد غزالها المتمرّد إلى غابتهِ القديمة دون أن تنصت لتكّات قلبها، لكنّه يشتهي سموم التّناقض في عروق اللّيل لهذا تساوت الأشياء في بال مدينتنا العاهرة وإن مات نبيّها، فقد أصبح طعم تفّاحها في اللّيل المالح كالرّغيف الذي التحم بقبلة الخطيئة ليعاهد الشّيطان في السّرّ والعلن، لعلّ مولودهُ البكر يولد راكعًا على سجّادة النّار، فيحترف رسم ربيعنا العربيّ الزّائف.
كالصّاعقة أصبحت تمارس لذّة الخيانة بين الحُبّ والموت فلا تترك أرضًا لا تضرم فيها نارًا ولا تترك مُتسعًا في فضاء أحلامها لتهرب العصافير والفراشات وكأنّها تستبيح حجرات النّسيان في هذه الذّاكرة الممسوحة..

obeikandl.com

أولى الحماماتِ هي والبئر التي أشعلت آخر الأضواء شرق الينابيع، فأستشهدُ فيها من أحرق نفسهُ ليغير خريطة لا مرئيّة لتاريخ أحول كُتِبَ بماء أسود على هامش الصّحراء.

دربٌ صغيرٌ سال على أرض كفّي كي لا تجتهد قارئة الكفّ في قراءته، ولكي لا تتعب من المشي في دوحة الرّيحان المتشقّقة من شهقة الاحتضار، فالتّعب في هذه الأيّام أصبح كالعباءة البيضاء هناك، وحدها الشّرك الذي يتهدّدنا، فمن يسكنها يسعى جاهدًا ليدمّر بوصلتنا الفلسطينية..

وإلى من تحمل فجرها لتحرق مناديلنا الثّوريّة أقول: لقد أصبح الحجر الرّمليّ قلبًا ورمحًا، ولعلّه الآن يقرأ دعاء السّفر ليغوص في بحر الصّحراء..

ربمّا ليمنح هذا الظّلّ شمسًا غامضة وفرصة أخيرة ليقايض آلهة الانتفاضة بأدواتهِ البسيطة على صنع خرافة مكرّرة تمنع غبار الأنبياء من التّجوّل فوق صدر امرأة كانت قد ابتعدت عن سلام ظلّها لتدرّب سماء جاراتها على صنع غيمة تشبه كعب حذائها العالي...

obeikandl.com

obeikandl.com

نرسيس لَمْ يَمُتْ.
بل ماتَ انعكاس جمالها في عُمق عينيه!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

إلا أنهُ لم يستجب ...

نظر كل واحد منهما إلى الآخر بذهول عندما قرّرت أن أتحدّث إلى صالح.. جلسوا يناقشون أمرها، الأُم، الأب، الزّوج، البحر والغيمة العابرة أيضًا كان لها حصّة في الجدال، فهي لا تقلّ أهميّة عن جارتنا التي كانت مهتمّة أيضًا بشأن ابن أخي الذي لم يرَ النّور بعد. كان لا بُدّ أن يأخذ موافقتهم النّهائية قبل الخروج من رحم أُمّه، ولا أعلم كيف ظَلّ صامتًا طوال هذا الوقت، ولم يتبع خيوط الفرح التي غادرت قبل ولادتهِ ولم تترك لهُ حيزًّا ضيقًا للجلوس على المائدة التي تُدعى دُنيا الفرح.

ها هوَ نيسان يستعيدُ ذاكرتهُ، فأخي أيضًا وُلد في السآبع من نيسان وكما قالت الشاعرة غادة السَمّان في إحدى روائعها "ليل نيسان الذي يفتح المسامات النّفسيّة للحُبّ والحياة، ولازدهار الجسد".

جلست زوجة أخي لتراقب بذرة الإحساس في جسدها وهي تُحرّكُ تربة حنينها إلى أيّ شيءٍ شَيئًا فَشَيئًا..

كضيفٍ مرحٍ كان لا بُدّ لي أن أقرأ للجنين الذي سَيُصَفّقُ لِنفسهُ عندما تمتلئ مرآته بصورتهِ وبعض أخبارنا وشيئًا ولو بسيطًا من أخبار هذه الدّنيا التي نعيشها في يومنا هذا..

ولكي لا أنقُل له نظرتي السّوداويّة بدأتُ أحاصر الكلام المخمّر في حلقي و الذي سيخرجُ من باب ثغري لأضيف عليه نكهةً من الغموض كي لا يفسّر كلامي واضحًا فيخرجُ إلى هذه الحَلَبَة صارخًا باكيًا فيوقظَ كُلّ العرب

النائمين..

لو أتيتَ إلينا يا صالح قبل أيّام لشاهدت بأُمّ عينكَ جماهيرنا العربيّة الغفيرة التي توحّدت لتصرخ في وجه المحتل الأرض لنا، ولا تسألني من هو المحتلّ يا صالح لأنّكَ ستراهُ قريبًا، المهمّ أنّ الأمور مَضت على خير في يوم الأرض، هكذا تناولت الصُّحف العربيّة عناوينها في اليوم التّالي، ولا تسألني عن الأرض يا صالح لأنّها ببساطة أصبحت مسكونة بالشّرّ الغامض، كما قالت الأساطير، فالتّاريخُ يا أبن أخي قد أصابهُ خَلل بنيويّ، والقبرُ أصبح كالحافلة التي تُوحّد رُكبها، فالعرب لا يجتمعون إلا عند وقوع كارثة ما...

كأنّ ضياع فلسطين ومصادرة أراضيها وقتل أبنائها وحرق كنائسها وهدم مساجدها وقيام دولتها التي تقع على حافة الهاوية ليست بكارثة، ولعلّهم يا صالح لا زالوا يبحثون في "مجمع الآلهة " عن سبب يفاجئنا نَحنُ أبناء هذه الأرض المقدسّة، لهذا لن أُطيل عليك فلو تأمّلتَ وجهي جيّدًا لشاهدتَ حصار غَزّة ومَجزَرة الحرم الإبراهيميّ وعنصريّة الجدار الفاصل. وما هذه التّشقّقات في وجهي يا صالح إلّا الحواجز المنصوبة على الطّرقات المؤدّية إلى كلّ شبرٍ من أرض فلسطين.

وإن كانت فرحتنا بكَ لا توصف فلعلّك تأتي إلينا حاملًا قنطار أملٍ في غَدٍ أفضل ولَعّلك يا صالح تُصلحُ ما أفسدتهُ يد الدول العربيّة...

لا نحتاج إلى قوّة عسكريّة لنستردَّ ما سُلبَ منّا بالقوّة، ولكنّنا بحاجة إلى مُعجزة إلهيّة بسيطة، فالعائلة يا صالح ما زالت تبحثُ في زوايا الوطن عن ناقة، لعلّك تكون يومًا ما نبيًّا لزمنٍ كَثُرت بهِ الآيات والمعجزات، ولأنّني على يقين أنّ النّبيّ محمّد خاتم الأنبياء، لا أريد أن أبوح لكَ بما يجول في خاطري يا

ابن أخي كي لا أُتّهم بالكفر والإلحاد...

ولا تسألني يا صالح لماذا لم أتزوّج حتى الآن، وهناك من الكثيرات الجميلات من حولي ببساطة يا ابن أخي لم أجد حتى الآن المكان الشّرقيّ والنّخلة التي ستسقُطُ رُطبًا على العذراءِ التي طالما حَلمتُ بها في نومي.

والغريب في الأمر أنّه كُلّما حَدّقتُ في بطن زوجة أخي الحامل شَممتُ رائحة البكاء في أحشائها كرائحة ركوة قهوة عربيّة أعدّتها لنا سيّدة عجوز متمرّسة. وها هوَ يخرجُ إلينا أخيرًا باكيًا، صارخًا لم يستجب لوابل الفرح الذي أُلقيَ على مسامعهِ وهو داخل الغار.

obeikandl.com

خلفَ هذه الغيوم
عيونٌ مُستوحدة
ستبكي لنا عمّا قليل دموعها
فَنَظنّ حينها
أنها قد أمطرت!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

لينا الفلسطينية

في الوقت الذي اتّخذت فيه الممرّضة مكانا من حافة الفراش وتهيّأت لأن تتكلّم: الجوّ هُنا مُنعش وجميل هذا الصّباح... فتحت لينا عينيها على اتّساعهما وابتسمت ابتسامة كبيرة كَشفت عن صفّين من أسنان لؤلؤيّة بيضاء مُرحّبة بصوت المذيع الفلسطينيّ الصّادر عن المذياع والذي كان بدورهِ يَزفّ خبر نجاح العمليّة التي قامت بها فتاة فلسطينيّة شُجاعة، فتاة مجهولة لدى جميع فصائل المقاومة في السّاحة النضّال الفلسطينيّ، فتاة تُدعى لينا هَبّت كالصّاعقة لتثأر لاستشهاد أبيها وآلاف الشّهداء الذين قضوا نحبهم على يدِ الاحتلال الغاصب وَجّهت لينا أنظارها على الخِيّام التي نُصِبَتْ لها ولعائلتها، التي ما زالت على قيدِ الحياة في الباحة الخلفيّة لِهُدنَةِ المتعبين وقالت: أيّها الطّبيبة هل أخرجت أمي صورة والدي من المنزل قبلَ أن تنسفهُ الطّائرات الحربيّة؟! كانت لينا قد هيّأت ذاتها من النّاحية النّفسيّة لما سيحصلُ بعد العمليّة التي ستقوم بها من إجراءات عسكريّة لهدم بيت عائلتها وسجنهم حتى تُسلّم نفسها بيدها للقضاء العسكريّ الإسرائيليّ إن نجحت هي في البقاء على قيد الحياة، كما تفعل دائمًا آلة العنجهيّة العسكريّة كردّ فعل على أيّ عمليّة ضدّها.. كانت على يقين أنّها لو خبّأت صورة والدها قبل خروجها للعمليّة ووضعتها في مكان آمن لا تطاوله قذائف الطّائرات وأنّها لو أنزلت الصّورة من مكانها الثّابت على الحائط ستنتبه لها أمّها التي لا تفارق الأريكة المقابلة للصّورة وستشكّ في أمرها لأنّ لينا أقسمت أمامها مرارًا وتكرارًا على الأخذ

بالثّأر، ولكن لينا أرادت أن يبقى الأمرُ سرًّا حتى يُقدرُ لها الرّب ما يشاء..
ابتسمت الممرّضة الفلسطينيّة التي قامت بإنقاذ لينا، وساعدتها بالهروب بعد نجاحها بإسقاط عدد لا بأس بهِ من جنود الاحتلال، وقالت: سَيُسطِّرُ التاريخ اسمك بماء الذّهب يا لينا...
دون أيّ حسّ بالإثم تابعت الطّائرات الإسرائيليّة رقصة الموت في سمائنا الغجريّة غير مكترثة بما قد يحصل لي إن جرى أيّ مكروه لحبيبتي لينا..
حَوّلت هذه الطّائرات سماءنا الممتلئة بأرواح شهدائنا إلى مُشعوذة غير راضية ومكتفية بما قد احتضنت، بل كانت تحرثُ الفضاء وتبول بكلّ أنواع القذائف والتّعاويذ التي بجعبتها لتبتزّ حياة لينا المختبئة في مكان ما هنا على هذه الأرض المقدّسة، بل أرادت أكبر عدد منّا لتُشبعَ غرورها، فكلّما سقطَ واحد منا عَلتْ هيَ على نفسها وأعلنت شهقة ولادتها.
امتزجت هذه المشعوذة في حكاياتنا الفلسطينيّة مجدّدًا حتى أصبحت كالشّمس تشرقُ دومًا من نافذة جراحنا..
أصبحت لينا في عنفوان شبابها، هي الآن في الخامسة والعشرين وما زالت في نظر الكثيرين من أهل بلدتها كالورقة البيضاء التي لم يستطع حتى الآن اليهود المغتَصِبين في زمن السّلم والحرب تلويثها بحبرهم الفاسد ولم يستطيعوا حتى الآن أن يحجبوا النّور الضّئيل المنبثق من صفائها ولم يستطع أيضًا دمعها المختلس من بحر عاطفتها في الليل المالح الطويل أن يحجب أو يغير لونها....
كان الكلام عن والدها يُفسِدُ عليها الرّؤيّة ويزعجها لأنّه كان دائمًا يُذكّرها أنّ الوقت الزّائل انتقل فجأة من مرحلة الجمر إلى مرحلة الرّماد.
وكأنّ الزّمن قد شربَ من خمرة الرّحيل حتى ثَمل فأصبحَ زمانها مَثقوبًا ومحاصرًا بشهقة الاحتضار.

obeikandi.com

كانت لينا وما زالت في مرحلة سباق الدّم مع الفكرة لا تمتلك شيئًا إلّا أن تَشبع ذاتها من صورة والدها الشّهيد المعلّقة على الحائط حتى أضحى الحائط وادي من وديان الأنين الباكي الذي لا يتّسعُ لتنهيدةٍ من صدرها. ولِتتحَسّس الرّواية ولتشمّ رائحة المشهد وتلمس آثاره، عليكَ كقارئ أن ترسم لنفسكَ صورة فتاة مجاهدة خارقة استطاعت فعل ما لم تستطع الجيوش العربيّة برمّتها فعلهُ، استطاعت لينا أن تنخرطَ بين صفوف المجاهدين لتتدرّب على حمل السّلاح كما استطاعت أن تَهِبَ نفسها للأرض والقضيّة وأخذت على عاتقها أيضًا تحرير تراب الوطن.. في صباح يوم مشمس وبقع دماء شهدائنا ما زالت رطبة تروي ظمأ أرضنا المقدّسة تحركت لينا مع مجموعة غير منظمة من رفاقها البواسل نحو الحاجز العسكريّ المنصوب في وسط الطّريق بعد أن منعت نفسها من الانتباه إلى نفسها كي تثأر لوالدها ولتسترد شيئًا من كرامة العرب المباحة ولتعيد ولو حفنة من تراب وطنها المسلوب ... كان الجنرال الإسرائيليّ الذي اختبأ في مكانٍ حصين كي لا يتبعَ رفاقهِ الذين قد سبقوه وقطعوا تذكرة في القطار السّريع المتّجه إلى الجحيم مباشرة، كان يحصي عدد الطّلقات وعدد الجثث فقط...

وأخيرًا انفجر هذا اللّيل المحتَقن وأخذت لينا بثأرها، لكن هذه العمليّة لم تشفِ غليلها بعد، فبركانها الثّائر لن يهمد ما دام هناك شبرًا من أرضها يقع تحت سطوة الاحتلال...
نزلَ خبر العمليّة على مسامع العدوّ الغاشم بعد ما تناقلتهُ وسائل الإعلام كصاعقة صدمته وزلزلته، وعصفت بكلّ كيانه ليقطع أخيرًا الشّك باليقين، إنّ هذه الأرض الطّاهرة ما زالت تُنجب أبطالًا كالرّيح جاهزة دائمًا لاقتلاعهِ منها..

كُلّما طَلبتُ من الله انتزاعكِ من قلبي، شَعَرتُ بالذّنب، كأنَّ سهمًا مسمومًا أصابني .. ماذا لو حَقنتُ نفسي الآن بمورفين البدايات الجديدة؟!

هل سأسقطُ ثانيةً في غيبوبة اللّقاء؟!

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

obeikandl.com

الدعوة مفتوحة والباب مُغلَق

سأدعوكم هذا المساء إلى حفلة عشاء ساهرة في بيتي، تنحنحوا من فضلكم قبلَ أن تَقرعوا الجرس وإنّي أخشى أنّ مَنْ سيقرعهُ منكم سيحني رأسهُ احترامًا له –للجرس– لأنّه ببساطة لن يجيب على سؤاله. يا لهذا الجرس اللّعين لم يكتسب حتّى الآن مُعجبًا ولم يَعُدْ مُزمجرًا أو شاخرًا، حتّى لا يبقى حيًّا صَمتَ كأيّ جنتلمان مُهذّب، في اليوم الثّلاثين من شهر مارس ولا أذكر في أيّ عام قرّر الجرس أنَّ على صاحب البيت– أنا– أن يكون ملازمًا له كظلّه، ومنذ ذاك الوقت قرّرت بيني وبين نفسي أن أعفيهِ من العمل؛ لهذا لا تعجبوا إن وعدتكم أنّه لن يكوّن صداقة مع أحدكم، طبعًا ومن المفهوم ضمنًا أنّي سأفتح لكم الباب الباب إن طُرِقَ. هبطَ اللّيل ولم أسمع لكم صوتًا، لا زيارات، ولا عناق. البيت عامر الآن ولن أزعجكم بصوت باب الثّلّاجة عند فتحها وإغلاقها، تفضّلوا وَمَن غيركُم سَيُعيد إلى الحياة بريقها وصفاءها؟! أنتم الحاضر..

وهل عليَّ أن أرضى بالحاضر وأن أثق بالمستقبل وقد تحمّلت ما تحمّلت منكم؟! سأخرج الآن من قاع صمتي وسأمزّق الدّعوات التي لم تفضَّ أغلفتها بعد ولن أكتفي بهذا؛ بل سأهتمّ اهتمامًا شديدًا بكيانيَّ الإنسانيّ الّذي لن يمتلك حُريّتهُ الشّخصيّة إلّا إذا شجّعتهُ أنا على الإسراف في تعاطي الجنون

وحبوب حُبّ العُزلة...

ثمّة ما يدفعكَ الآن لتتخيّلني أيّها القارئ العزيز..

ها أنا أجلس الآن لاهثًا بعد أن بحثتُ جاهِدًا في ردهاتِ هذا البيت عن منفضة سجائر، ألهثُ كسكّير يترنّح في حانة لا يجد مكانًا له في لوحة وحدتهِ السّرياليّة؛ حتى هذه الأريكة الضيّقة تحوّلت الآن إلى خشبة مسرح، ولا أدري ماذا سأفعل بهذا العقل المتخم بالأفكار...

أفسحتُ لي مكانًا إلى جانبي، وها هِيَ الأريكة تتهادى بنا تحت أجمل لحن، زقزق الجرس من الفرح لأنّي كسرت حواجز النّطق المصطنع بيني وبينه!

كما رأيتني بعد هذه الحفلة الّتي امتلَأَتْ بي فقط، أعتلي ظهر الطّاولة ليتحوّل البيت برمّتهِ إلى خشبة مسرح!

بعيدًا عن البيت، بعيدًا عن الوطن، بعيدًا عن الجرس، أنا الآن في تياتروريال في لندن...

أنا وأنتِ

مدينة حيّة،

لدينا أحد أعظم الإنجازات الهندسيّة في العالم: طفلنا الذي لم يأتِ

بعد!

obeikandl.com

obeikandl.com

بكلمة أو اثنتَين
سأصف حبّي للكتابة
أحمل قلمي
لأكتبَ وأرسمَ
كبرياءك في المرآة
والنّاس تقرأ كلّ ما فيّ وفيكِ
على تضاريس الورق.

obeikandl.com

obeikandl.com

صراع عقيم

لم يكن ذلك إلّا من نسج خيالي، هكذا قالت ليَ الفتاة التي تلعثمت بدموعها حين قرأَتْ هذا النّصّ صدفةً بعدما تصادمت مع خوفها وطبول قلبها التي كانت تُقرع بسرعة ومن دون توقّف.

لم يكن ذلك إلّا من نسج خيالي، وإنّي قد بالغتُ كثيرًا بسردي وتفهّمي الغير منطقيّ للموضوع.

قالت هذه الكلمات دون أن تدرك بأن حاجتي لكتابة نصٍ ما كانت بالنسبة لي قويّة جداً في حينها ومع هذا فكرت طويلاً في ردّة فعلها وفي ما صقلتهُ أناملي هُنا ...

ترددتُ طويلاً لنشر هذا النّصّ، لكن بعد أن شعرتُ بمرارة الصّمت في فمي وأن شيطان الكتابة حين يعتريني ويعتليني أصبح كذَكَر الخيل الهائج الذي لا يسمح لأحد بترويضه..

في اللحظة التي احمرت وجنتاها وشعرتُ بدماغها تغلي أدركت بأن نشر النص قد يغير فيها شيئًا ولعل هذا النص يكون رادعًا لها ولتصرفاتها المشينة فيما بعد وبهذا أكون قد أوصلت رسالتي وفي الوقت عينه تكون أمنيتي أن تستنفر الكلمات وتغيّر كل ما يجب تغييره في مجتمعنا قد تحقّقَتْ.

استدارت الكلمات نحوي باسطةً أجنحتها ربما لمساعدتي على التّحليق

في فضاء وحدتي الدّائمة، وربّما أصبحَتْ شيئًا فشيئًا تتمتّع هذه الكلمات بسحر التّمرّد، حتى أنّها غدت دون قصد وبطريقة غير مبرمجة ومرتّبة بالنّسبة لي الرّفيقة المثالية التي تشبهني إلى حدٍّ ما، لأنّني لا أتمتّعُ بموهبة الصّمت والخضوع.

فقد عوّدتني الحروف على دلالها وعنفوانها، حتى أصبحتُ كنساء بريطانيا العُظمى، لا أحتفظُ بالسّرّ أكثر من نصف ساعة فقط!

تجاوزت السّاعة السّادسة مساءً، انسدلت ستائر السّماء أمامي وغابت شمس ذلك النّهار، كان هذا النّهار قاسيًا بعض الشّيء وقاصيًا أيضًا لأنّي شعرت ببعده الزّمنيّ، فقد أثقلت كاهلي حرارة شمسهُ وتراتيل أعمالي التي أرهقتني و لم ترُق لي بتاتًا...

ها هو النّهار أصبح خلفي الآن، وها هو نسيم البحر يلاعب ويداعب بأناملهِ السّحريّة خصلات شعري والتي بدورها انسدلت على وجهي لتلقي تحيّة الأمل بوقتٍ أفضل من الذي قد زال.

تَمَسمَرَتْ عيناي وتمركزت في اتّجاه البحر، وقد أشعلت النّبوءة ذاتها في ذاتي حينما اجتاحت كرة النّار الملتهبة وجه البحر ووجهي، كُنت ما زلتُ أعشق منظر الغروب حتى أني كنت قد عرّفت عن نفسي باسم عاشق الغروب في أوّل رسالة غراميّة كتبتها لفتاة في المدرسة الإعداديّة، كانت قد أثارت مشاعري ولفتت انتباهي لها لشدّة رقّتها وكثرة جمالها..

أطلقتُ العنان لمشاعري ولرغبتي التي شاءت لها الظّروف المواتية –أقصد هنا الزمان والمكان– لأن تتحرّر وتكتب لنحتسي فيما بعد ما يفيضُ من كأسها...

هنا بدأتُ بنسج خيوط المكان كأنّني أستعرضُ عضلات ذهني أمام هذا

البحر الواسع، وبدأ القلم يعيد إليّ جميع الرّغبات الحسّيّة ليشكلّ الدّافع الأهمّ للكتابة. كانت نظراتي التي ألقيها على الشّاطئ والسّماء والأشجار ومنظر المغيب تهكّميّة، لأحاصر كلّ هذا الجمال في صفحة بيضاء كان عليّ أن أفتح ذراعي لأضم هذا العالم الواسع فتضيق مساحتهُ، فأسيطر عليه كما تسيطر الدّول الرّأسماليّة على دول العالم الثّالث، وهنا بدأت الأفكار تنسكبُ من ذهني كما تنسكبُ أموالنا في الجزيرة العربية في جيوب الطّبقة الحاكمة، وإن كانت قلّة قليلة لا تفقه من أمور الدّنيا غير حُبّ كرسيّ الحُكم والطّعام والشّراب والتّحكّم أيضًا برزق وأعناق العباد..

فجأة تغيّرت الموازين، تَعَثّرت آذاني بحجارة صرخاتها المخنوقة، كانت في أوجِ شبابها، فتاة في العشرين من عمرها، شعرتُ بألم حنجرتها وهي تتخلّصُ من الهرمونات الزّائدة في جسدها، وأيضًا من انزعاجها لسماع دقّات قلبها الهادرة التي أصرّت على تخرّجها بطريقة الإثارة والارتجاف، كان صوتها يرتجفُ كما ارتجفت كلّ ذرّة من جسدها، كأنّها وُلِدَت خصّيصًا لتوقظ في نفسها غريزة حسّيّة نكرة..

وقعتُ مذهولًا على الأرض كما وقعت الحادثة نفسها فريسة لاهتمامي الزّائد في معرفة ما يحدثُ هُناكَ خلف تلكَ الأشجار. اقتربتُ قليلًا لأرقب ما يحدثُ وإذ بالفتاة تراني، شعرتُ بكلّ ارتباك العالم في داخلي حين ثارت ثائرتها وانفجرت بالصّراخ والبكاءِ أمامي كانت وحدها تحفرُ حفرة كبيرة تشبه القبر تمامًا، وما كان صراخها وأنينها إلا كُتلًا وتلالًا من التّعب الجسديّ الذي احتواها بسبب حركاتها الآليّة التي اضطرَّت للقيام بها.

شعرتُ أنّها منزعجة جدًّا من وجودي لأنّي كشفت سرّها أو لأنّي حَشَرتُ أنفي في شأنٍ يخصّها وحدها، لكن لم يتح لي فضولي أن أتركها. نظرت إلى

الحفرة وشعرت بقشعريرة باردة تنهشُ في جسدي كما تنهشُ الآلة الحادّة التي تحملها –المعول– التّراب الذي تحت أقدامنا.

حملقت بي كثيرًا، بدا وجهها أكثر قسوة، فالنّظرة التي رمقتني بها أحاطت بي من كلّ جانب، حاولت تعبئة رئتيّ بالمزيد من الهواء، التقطتُ أنفاسي وحاولت محاربة ذلك الشّعور الذي أحدثتهُ نظراتها دون فائدة.

كُنا واقفين معًا، نتبادل تلكَ النّظرات العميقة حتى أنّها لم تشعر باقترابي منها، مجرّد خطوة صغيرة أقوم بها كانت كافية لتجعل أجسادنا يتلامسان كأنّ شِباكًا خفيّة وضعت بيني وبينها حتى لا تراني وأنا أتقدم منها رويدًا رويدًا.

كُنت على يقين أنّ خبرتي الطّويلة كفيلة أن تنقذ الموقف، وقد حان الوقت لاختبارها، فأنا على علم أنّ المودّة تبدأ بالملامسة الجسديّة، وأنّ الأحاسيس الكامنة في داخلها ستستجيب لنداء خوفي عليها ...

أمسكتُ يدها وكنت أوشك أن أضمّها إلى صدري، شعرتُ بضعف عزيمتها وخوفها الشّديد.

ببساطة كانت هذه الفتاة تشكّ بقدراتها على أن تحيا حياة كريمة كانت تفكر مَلِيًّا بالانتحار، كانت عاجزة عن مواجهة واقعها المؤلم ومتابعة حياتها، وما كانت تلك الحفرة إلا قبرها وسريرها، عَملَت جاهدة لتنام مع أحزانها في قبر مظلم كظلمة هذه الحياة التي تعيشها حتى الآن.

من أحبّت عاشقًا ممزوجًا

بدم اللّيل

وجدت حدائق قيصر.

من أحبّت قيصرَ ممزوجًا

بنكهة توأمين

وجدت طريقًا إلى البقاء.

من احبّت حلم الطريق

وجدت لغة أو حجر

من أحبّت حجرا

وجدت نفسها

في متناول كلّ يد.

obeikandl.com

obeikandl.com

ليْ أو لغيري

أسكن السّاحل الأبديّ لأنسى رسالة الغيب،

أزاولُ مهنة الذّكريات لتنحدر الدّموع من عينيّ مثل خيط اللآلئ حينًا، وأحيانًا أخرى أنام على ضوء حدسي كي لا يأكل البحر أطراف أعمدتي فتتغير أصواتنا. قيل لي أنّ الوجود أطلق الرّصاص على الرّبيع، وأنّ قائد الرّبيع أفرغ رصاص مسدّسه في قلب ليلٍ رضيع. أصبحت بعدها مصلوبًا كفزّاع طيور أشدّ أوتار حنجرتي مُنتظرًا هبوب العاصفة. وكي لا يمزج الوقت وحدة زلزاله بقلوبنا المحنّطة أرسلتُ إلى مدينة قوس قزح ديدان الأرض وروح الصّدفة الفارغة من حسّيّة المفردات. هناك عند نهاية الكلمات صوت ناي تناجيك وتحميك من مخاوفك المصطنعة، تُشبهني أنتَ بنهركَ المزعوم يا حُبّ، فكلّما سجدت أنا للخاطرة في ابتهالاتي تنشّقت هناك نَفَس الله وصدّقت نفسي أنّي مسكون بلهفة الفرح المنسيّ والشّعر المرتجل، مثل أوراق الشّجيرات. ودود أنا مع الواقع وكرنفالاته الرّعناء. أمّا أنتَ فتكتب بحبر الغراب رحلتنا لتستيقظ مرايانا على غفلة منّا، فتضحك مواسم جنونها في وسط الغابات السّاكنة، ربّما تضحك منّا ومن الحياة لأنّها احتست من مسيرة الصّحو اللامتناهي كأسًا من شراب الياسمين الباكي. أتلمّسُ السّلالم الأزليّة في روحي والقصائد الخالية من النّاس ومن الصّدى، لعلّي أرى أثرًا أو قمرًا يمشي بقدميه الثابتتين على ساعة الشّمس. أقف خلف

obeikandi.com

الكواليس عندما تقف الموهبة على الحياد، وإن ساءت حالتي في وحدتي أجلس تحت شلّال روحي النّقيّة لتبتلّ أوراق القصيدة النّاقصة، لهذا عانقت قلب الهواء المقطّر بالماء قبل رحيل الأرض وقبل أن تكمل حفنة القمح رحلتها، في ساحتي تمطر السّماء مطرًا غزيرًا على المارّة المتنزّهين. ساحتي قمّة جبل عالية، والسّراب يخدعهم ليسخر منهم لاحقًا لأنّ توأم البحر المتعب من جسدي تزوّج ضفّة النهر الحالمة.

أذكر بحزن عميق أوّل رحلة لي في موسم الجنون، لهذا أكتب الآن ثرثرتي الدّامعة. عبثًا أرشو لحظات الفرح وأوّل الذّكريات لأتدلّى من سماء نبيذيّة حاملًا معي مسامير الرّعد ولمساتنا المسروقة بين البحر والصّحراء. في هذا اللّيل الطّويل العتيق أحاول مداعبة قلبي القتيل بحريّة الوطن البعيد، أحاول مداعبة أيّامنا الهاربة وألوهيّة الغدّ الجميل المربوط بمملكة الغبار وروح أسطورة تركت نفسها لهذا الكلام البريء، أحاول إعادة الوقت لعلّي أطوي هذه اللّيلة دونك، أقول الآن لنفسي وصوتك يخرج إليّ من الهاتف: إلهي أين قلبي؟! أينَ جسّ نبض الكون في جسدي؟! أحارُ وثقل الكرة الأرضيّة على صدري، ليقول لي قبرنا المشترك مللتُ من تاريخكَ الواقعيّ الذي يمضغ نصف المدى وهمس الهاوية، كأنّي قرية مهملة والحُلم فيها مُثقل مبحوح، أحدّق في مرآتي لعلّي أجد في مهاوي النّفس قبلك أو ظلّك عابثًا في غُرّة شعري، لعلّي أجد في وصيّتك الأخيرة رائحة تقاسمني عطر المريميّة ونشوة الأحلام في أغنية الجسد. على أديم الغيم أمشي مع الملائكة الذين أحبهم، أمشي لأتجنّب من نام على الأرض ليستعيد إحساسه المدفون كي يبلغ المجهول فيها، أنا لا أنا الهادئ، أشرب المرئيّ من الحبّ والذّكريات كرحلة غنائيّة تروي للآخرين حكاية حبّها،

رحلة حملت في طيّاتها سكانها وأحزانها، كنت أمشي وأدهسُ تحت عجلات الحديث كي لا أطيل التأمّل في صفاتي، صفات الخيال.

obeikandl.com

obeikandl.com

لم يأتِ الفرح مع المطر

ولم تأت السّلامة

مع أختها الرّحمة

ولا أظنّ أنّهما سيأتيان.

أُوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة قصيرة جدًّا

على بُعد مقعدين منه، جلست امرأة مُنهكة بينهم، جلس الشّاطئ الذي اختصر شوقه إليها وشوقها إليهُ، أخفتْ فرحتها بهِ وهو لم يتعثّر برمال المسافة التي تفصله عنها ليقع بين أحضانها، ولما انتهى من تأثيث ما جال في خاطره ليبدأ بدهشة وديعة محادثتها، كانت قد اعتلت أوّل موجة من أمواج الغيوم المسافرة، بعد أن غادرت مقعدها دون أن تنبس ببنت شفّة، حينها تذكّر أنَّه قد اشتهى كلّ الفتيات الجميلات المراهقات اللّواتي مررن بين شقوق عينيه ليُشرفن على قلعتهِ المهدّمة، وتذكّر أيضًا أنّه نسي أن يُغطّي جدران عينيه الزّائغة بالمرايا.

obeikandl.com

obeikandl.com

حبّة أنا

في طاحون الثّنائيّات

وُلِدتُ لأتبادلَ مع ملح

الشّواطئ حكمة يومنا

وهي ترتعش في وضح الغياب

وبنبض مائها

تحكي

وتبكي.

أوجاعُ الياسمين

obeikandl.com

وهم

وكأنّ هذا الجسد اندغم بكيانه!

على حُلُمي أن يرى المشهد كاملًا، وعليّ أنا أن أندسّ في كأس نبيذيّ دون أن أبكي، كالعائد من سفر بعيد يأخذني الوسواس إلى حضنه بشوق المرايا لجسد فتاة حالمة لم تخرج من شرنقة ثيابها بعد.

كانت تطلُّ من حين إلى حين فتاة من شبّاكها حاملةً صورة النّبيّ يوسف على حدائق وجهها لتبعث في روحي حرارة حياة تتجدّد وتجدّد الأوراق على الأغصان..

كشجرة مشمش أتمايلُ كلّما لفحتني نسمات نشوتها الهادئة، يا الله أقول في نفسي وأتركها تسرّح شعرها اللّيليّ، أمشي حابسًا دمعة معلّقة على أذيال رموشي.. ببساطة لم أُرِد لها أن تسقط مثلما سقطَت سمكة قلبي في بحرها فاصطادتها حينها موجة فتنها وصنارة فتنتها.

لستُ أذكر منها غير صورتها العالقة بين جفنيّ، يقول هذياني الذي راح يفركُ يديه بعصبيّة ليمسحَ غبار مخاوفه الذي غطّى مطاردة رغباتهِ فأثقل كاهلها.

انتفضَ قلبي كمن صُفعَ على حين غرّة، حين حفن بمنتهى الحرص شيطاني حفنة من بيادر الذّاكرة، حفنة من مشاهد وصور قد ألِفها.. أخذَ يَعُدُّها ويعيدني معه بِعَدِّها إلى سرير الحياة لأُقلِّبَ صور الحياة معه صورة صورة، وقد ضمر في قلبه إذ جاء العدد شفيعًا. التقى بها مرّة أخرى وأحتضنها وإذ جاء العدد وترًا بعثَ بأبنائهِ الشّياطين إلى الهلاك واستسلم من بعدهم لقبائل

النّسيان في نفسهِ، ومزّق رسالتهُ التي كتبها رسمًا بريشة نومه، رسالة حليفة له ضدّه، رسالة إن وصلت إلى الأفق ستهُبُّ صاعقة تدكّ أرض الرّوح بمن فيها لتنجد تسلّله إلى الحضيض

مرّة أخرى، مرّة أخرى يفشل رَبّ الصّمت عن لجم لساني الذي تمتم واشيًا بي.

ها أنا أنتشل قلمي من بئر أحلامي لأخطّ لكم حادثة غرقي في بحر هزائمي، لا فتاة هناك ولا نافذة هنا، لكنّني نجحتُ إلى حدّ بعيد في كتابة نصّ لا يحمل في طيّاته غير فكرة الصدّق، ويقال أنّ شيطاني لا يفشي سرّه للأحد، إلّا أنّه الآن في حالة سكر.

obeikandl.com

العزلة امرأة نزقة

إمّا أن تجعل منك رجلًا مجنونًا

وإمّا تمدّك بقدرات استثنائيّة

كي لا تبقى

تبقى مجرّد إنسان عاديّ

بين سائر البشر

اقرأ وضاجع عزلتك

على سرير الفهم

لتنجح في فكّ رموز حبكتها

وفي أوّل رشفة لك من نبع القراءة

ستكتشف أنّ الخلود

يتقرفص هناك

بمحاذاة إكسير الحياة.

إكسيرها اليافع يأكل من جسدي حبًّا.

obeikandl.com

obeikandl.com

السّيرة الذّاتيّة للمؤلّف

سلطان مي؛ شاعر وكاتب فلسطينيّ وُلد في الخامس والعشرين من عام 1980، لعائلة مهجّرة من قرية البروة. أقام وعائلته في قرية الجديدة، قرب عكّا وحيفا.

أنهى دراسته الإبتدائيّة والثّانويّة في مدرسة الجديدة، هذه القرية الّتي باتت وجعه الأصغر بعد البروة؛ وطن عائلته المشتّتة في بقاع العالم. عَمِلَ وشيّدَ وأنجَبَ وأبدَعَ وحَلُمَ حتى استيقظ على نفسهِ ميتًا.]

هو مَنْ تعكّز على الرّيح والجَمر
كفضيحةٍ لم تمتْ إلا مجازًا،
استقرَّ في صدر البراعة وحيدًا
ليكونَ المنتَهى قمرًا من الترحال
كاختفاءِ السّرّ في ظِلِّ التّورّط..
هو السّكون بينَ السّجود والسّكوت

obeikandi.com

وربما كما قال الأهلُ عنه عندما سأل:

أنا

من أنا؟!

فأنجب سكونهم جواب حاله:

ما أنا إلا كما قالوا، أنا الابنُ الضّال.

في جعبته:
نوافذ عبثيّة،(٢٠١٠)، مجموعة شِعريّة.
أحلام في ذاكرة الغمام،(٢٠١١)، مجموعة شِعريّة.
أوجاعُ الياسمين،(٢٠١٣)، نصوص نثريّة.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com